ابن سنان الخفاجي وكتابه سر الفصاحة:
من غواية الذوق إلى تجليات المنهج وإبداع المضمون

Islam Maher Omara*

İbn Sinân el-Hafâcî ve Kitabı Sirru'l-fesâha: Edebî Zevkin Cezbedici Büyülemesinden, Metod ve Üslubun Yetkin Tezahürleri ile İçeriğin Özgünlüğüne

Öz

Bu araştırma, İbn Sinân el-Hafâcî'nin Sirru'l-fesâha adlı kitabındaki metodolojisinin yanı sıra söz konusu kitapta incelediği konuları ve yararlandığı kaynakları ele almaktadır. Makalenin ana omurgasını oluşturan kısımda, el-Hafâcî'nin, metodolojiisini belirleyen diğer kitapların nitelikleri de incelenir. Yazar edebî kıyaslama için; şiirlerden delil getirmiş, seçilmiş (fasih) şiir örneklerinin özelliklerini ortaya koymuş, şiir örneklerini nesir örneklerinden daha fazla tutmuş, net ifadeler kullanmış, manalar ve kavramlar hakkında tanımlamalar yapmıştır.Makalenin son kısmında ise, İbn Sinan'ın metodolojisi hakkında araştırmacıların eleştirileri incelenmiş, desteklenen ve karşı çıkılan noktalar ele alınarak, İbn Sinan'ın metodolojisindeki bazı kusur ve çelişkili yönlerine değinilmiştir.

Anahtar Kelimler: İbn Sinân el-Hafâcî, Sirru'l-fesâha, Belâğat, Edebî Zevk, Metod

Ibn Sinân al-Khafâcî and His Book Sir al-Fasâha: From the Lure of the Literary Taste to the Manifestations of the Method and the Origination of the Content.

Abstract

This research focuses on the methodology of Ibn Sinan in his book "The Secret eloquence - Ser al-fasaha" and also the contents and sources that he dealt with. At the constituve part of the main structure of research, other books affecting el-Hafâcî's methodology are reviewed as well. The author has given evidences from poems, highlighted the features of selected (fasih) poems, mentioned poetic models more than prose models, used explicit statements and made descriptions about meanings and concepts for literary comparison. Besides, at the last part of this research, the criticisms of scholars about İbn Sinan's methodology has been analyzed, the supportive and opposing points have been discussed and therefore some defictive and conflictive sides of İbn Sinan's methodology have been mentioned.

Key Words: Ibn Sinan al-Khafaji, Ser alfasaha, eloquence, literary taste, method, content.

* Öğr. Gör., Uludağ Üniversitesi İlahiyat Fakültesi (islamomara@hotmail.com)

"سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجي الحلبي ثمرة ناضجة من ثمراتٍ مختلفةٍ أكمامُها في حقل الدراسات البلاغية أينعت في القرن الخامس الهجري فأغنت الدرس البلاغي تأصيلًا وتنظيرًا. والمتتبع لجملة هذه الدراسات سواء المشرقية منها أو المغربية يجد أنها أصيلة في بابها، فريدة في لبها ولبابها،اتسمت بالمنهجية، ومثلت حركة علمية غنية، وتظاهرةً أدبيّةً ثريةً،أعظمُ مفاخرِها، وأجلُّ مآثرها ما تجلى عنها من كتبٍ قَيِّمة، أبرزها: "دلائل الإعجاز "و"أسرار البلاغة" للإمام عبدالقاهر الجرجاني(٤٧١ه) وكذا " العمدة في صناعة الشعر ونقده" لابن رشيق القيرواني (٤٦٣ه) وأخرى غيرها أسهمت في تطور الدرس البلاغي،وكانت خلاصة فكر بلاغي نقدي بلغ نضجه وكماله في عصر ابن سنان، الأمر الذي يشي بوجود بذور سبقتها،ومراحل طويلة قطعتها، درجت عليها الفكرة البلاغية وتقلبت فيها حتى اكتملت واستوت على سوقها.

وما يعني بحثنا في هذا المقام هو منهج ابن سنان في مصنفه "سر الفصاحة"، ومضامينه، ومصادره التي اعتمد عليها في تصنيف كتابه،وهو ما سيقف عليه كاتب هذه السطور بعد طول إنعام نظر في الكتاب ودراسته دراسة فاحصة متأنية حولين كاملين.

وبادئ ذي بَدْءٍ فإن الأمانة العلمية المتوخاة تقتضي من كاتب السطور الإشارة إلى أن هناك من الباحثين الذين نبوء بخوضهم في الغمار، ونقر بأسبقيتهم في المضمار، قد تعرضوا للحديث عن "سر الفصاحة" ضمن عرضهم للبلاغة، وتاريخها،وفنونها، وأهم الدراسات البلاغية التي صنفت فيها، لذا ينبغي التنويه إلى ما كتبوه عن بلاغة ابن سنان، كمقالات المرحوم الأستاذ كامل الفقي في أعداد متلاحقة من مجلة الأزهر، مع الأخذ في الحسبان أنه على قدر قيمة تلك المقالات وقامة صاحبها إلا أنه يعتريها ما يعتري رصيفاتها في بعض المجلات العلمية من العوز إلى مزيد من التأني و الاستقصاء في الطرح والتناول برصد جزئيات الخلية وتتبعها ومعرفة علاقتها بغيرها من الخلايا، الأمر الذي يحتاج إلى مساحة أكبر لبسط القول،ولا تتسع له صفحات المجلات، وستحاول هذه السطور إلقاء شعاع من الضوء على بعض الزوايا،وإنارة ما أظلم فيها أو خفت منها.

كما كتب أستاذنا الدكتور بدوي طبانة في كتابه "البيان العربي" عن ملامح بلاغة ابن سنان ضمن تتبعه لمسار تفكير البيان العربي في مصادره الكبرى،وبما أن طبيعة بحثه لم تكن تقتضي التعمق والتقصي بل العرض المقتضب فمر مرور الكرام على عمل ابن سنان. أما العلامة الدكتور شوقي ضيف فقد تحدث عن ابن سنان في كتابه "البلاغة

تطور وتاريخ" لكن حديثه كان مبتسرًا،فلم يعرض في بحثه تفصيل منهج ابن سنان، وكذا الأمر لدى الدكتور عبدالمنعم الخفاجي في كتابه "بنوخفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي" فقد تناوله من حيث التأريخ الأدبي لدور القبيلة عبر التاريخ،وبالقدر الذي يدور حول ذلك الإطار المرسوم، مع استخلاصه بعض ملامح الشخصية من أبيات ابن سنان الشعرية.أما الدكتور محمد زغلول سلام فكتابه"تاريخ النقد الأدبي من القرن الخامس الهجري إلى القرن العاشر الهجري"فقد جاء عرضه لمامًا لم يتجاوز بضع صفحات.

مصادر ثقافة ابن سنان وشخصيته العلمية

شيوخه

تلقى ابن سنان العلم ونهل من عدة علوم ومعارف كالفلسفة،وعلم الكلام، والنحو، واللغة والأدب، وسمع الحديث وبرع فيه،[1] وصرح في أكثر من موطن في كتابه "سر الفصاحة" بتلقيه عن شيخه أبي العلاء المعري[2] بأنه قرأ على يديه،وأخذ عنه الأدب.كما أشار إلى أنه حاوره وناقشه وفي مواطن وخَطَّأه في أخرى، وفي ذلك اعتراف له بفضله وغزارة علمه، يقول:كنت حاضرًا عند شيخنا أبي العلاء وقد قرأت عليه قصيدة لأبي الطيب فلما وصل القارئ إلى هذا البيت:

ولا الضَّعْفُ حتَّى يبلُغَ الضعفُ ضَعْفَهُ ولا ضعْفُ ضَعْفِ الضَّعيفِ بلْ مِثْلُه ألْفُ

قال:هذا والله شعر مدبر.وكان من العصبية لأبي الطيب على الصفة التي اشتهرت عنه"[3].

وكان ابن سنان إذا أطلق كلمة "الشيخ أو شيخنا" فإن الذهن ينصرف إلى أبي العلاء. يقول: وكان شيخنا يذهب إلى أن قصيدة كُثَيِّر التي أولها:

خَلِيلَيَّ هَذا رَبْعُ عزةَ فاعْقِلا قَلُوصَيْكُما ثم ابكِيا حَيْثُ حَلَّتِ

وقد لزم اللام في جميعها فلما سألناه عن البيت الذي يروى فيها وهو:

أَصَابَ الردَى مَنْ كَانَ يهْوَى لَكِ الرَّدَى وَجُنَّ اللَّواتي قُلْنَ عَزَّةُ جُنَّتِ

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، (٥/٩٦).

[2] هو أبو العلاء المعري أحمد بن عبدالله بن سليمان المتوفى سنة ٤٤٠هـ.

[3] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٩٢.

قال:هذا البيت ليس من القصيدة.[٤]

لكنه كان يصرح بكنيته واسمه دون لقب" الشيخ" في مواطن كثيرةكقوله:"ونظم أبوالعلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان شعره المعروف بلزوم مالا يلزم على هذه الطريقة،وكذلك أكثر كلامه المنثور سلك فيه هذا المنهج"[٥] أو يكتفي بكنيته كقوله:"وقول أبي العلاء فيما قرأته عليه[٦]:

رُدِّي كَلامَكِ مَا أمْلَلْتُ مُستَمِعًا ومَن يَمَلُّ منَ الأنفَاسِ تَرديدَا

أما أبو العلاء صاعد بن عيسى الكاتب-وهو خلاف أبي العلاء المعري- فقد كان معه في طلب العلم لكن ابن سنان قال عنه في موطن من كتابه: "وقد كان أبو العلاء صاعد بن عيسى الكاتب أجازني في بعض الأيام هذا البيت"[٧] ويقصد بيت قطري بن الفجاءة المازني (ثم انصرفت وقد أَصبتُ ولم أصَبْ..)

وأقول: لا أظن أنه بإجازته هذا البيت يكون شيخه،لكنه رفيقه في رحلة العلم، وقد يتناظر ويتلاقح الطلبة فيما يدرسون وفيما بين أيديهم من أشعار.

ويذكر الصفدي في (فوات الوفيات) بين يدي ترجمته للخفاجي شيخًا آخر تتلمذ ابن سنان عليه في الأدب فيقول :"أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وأبي نصر المنازي"[٨]

والحق أن هذه الرواية لا نأنس لها،ولانطمئن إلى صحتها لأسباب مختلفة، منها أن ابن سنان عُرِف عنه أنه كان شديد الحرص على ذكر أسماء شيوخه الذين أخذ عنهم أو أفاد منهم، إشادةً بفضلهم، وإنصافًا لحقهم، وحرصًا منه على الدقة والأمانة العلمية التي اتخذها في كتابه سنةً ومنهاجًا، لكن ابن سنان لم يذكر اسم هذا الشيخ في عِدادِ من أخذ عنهم أو حتى ما يشير إلى أن ثمة صلة جمعت بينهما في حلقة درس أو إجازة بيت أو مناقشة رأي. ينضاف إلى ذلك أن كل الكتب التي عَنَّتْ-لكاتب هذه السطور- وتَرْجَمَتْ لأبي نصر المنازي لم تذكر أن ابن سنان أحد تلامذته. وهناك سبب ثالث وهو أن أبا نصر المنازي توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ولم نجد أي رثاء له من ابن

٤ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٧٢.

٥ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٧٣.

٦ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٧٤.

٧ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١١١.

٨ الكتبي، فوات الوفيات، (٢٢/٢).

سنان رغم ديوانه الحافل بالمرثيات،وكيف يرثي خِدنَه وقرينه أبا العلاء صاعد بن عيسى الكاتب -وقد تتلمذا معًا على يد أبي العلاء المعري- بقصائد كثيرة في ديوانه ولايرثي شيخًا تتلمذ على يديه ولو ببيت واحد؟

الكتب التي تتلمذ عليها وشكلت مادة كتابه

من خلال دراسة سر الفصاحة يمكننا القول إن ابن سنان قد هضم كل الكتب التي ألفت حتى عصره في علوم اللغة والبلاغة والأدب،وأنه تفحص جوانب هذا التراث حتى استوعبه فهمًا وإحاطةً وإمعانًا، وتمكن من استخلاص أبعادها ومراميها وتحديد اتجاهاتها، ونقدها والأخذ عنها ما مثَّل مادة ناقش من خلالها الآراء المتباينة في كتابه. ومن تلك الكتب:البيان والتبيين، ونقد الشعر،والخراج وصناعة الكتابة، والموازنة، والوساطة بين المتنبي وخصومه، والنكت في إعجاز القرآن، يضاف إلى ذلك دواوين الشعراء فحولهم ومشاهيرهم المتقدمين وغيرها.

آثاره

خلف ابن سنان آثارًا علمية قيمة، منها ماهو مطبوع بين أيدينا ككتابه سر الفصاحة، وكذلك ديوان ابن سنان وقد ذكره ابن خلكان في معرض كلامه على مخلص الدولة ابن منقذ حيث قال: "وتوفي أخوه أبوالغيث، ورثاه الشيخ الأريب أبو محمد عبدالله الخفاجي الحلبي المشهور صاحب الديوان الشعري"[٩]

وهذان الأثران -فقط- هما اللذان وصلا إلينا، أما بقية مصنفاته فقد عفى عليها رهج العقوق والإهمال، فطواها النسيان،ولفها الحدثان، فباتت مفقودة، ولا نعرف عنها إلا مِن كتب التراجم التي اكتفت بإيراد أسمائها فحسب.لكن الخفاجي حدثنا في كتابه سر الفصاحة عن واحد منها فاستنبطنا أن يكون له كتاب يحمل هذا الاسم من خلال تلك العبارة التي أوردها في سر الفصاحة وهي تنبئنا عن نيته صنع كتاب آخر،فقال: "وإذ قد انتهى بنا القول إلى هذا الوضع فالواجب أن نختم الكتاب؛ لأننا قد وفينا بجميع ما شرطناه في أوله، وقد كنا عزمنا على أن نصله بقطعة مختارة من النظم والنثر يُتَدَرَّبُ بالوقوف عليها لكننا فرقنا من الإطالة والتثقيل على الناظر فيه بالملل والسآمة فعدلنا

٩ ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٢٧٣/٣).

إلى وضع ذلك في كتاب منفرد".[١٠] ويذكر الدكتور أحمد مطلوب تعليقًا على هذا الكتاب فيقول: "ولم نعثر على الكتاب الذي وعد به بإفراده بهذا الغرض، ولا ندري هل سنحت له الفرصة فوضع الكتاب أو شغلته عنه الحياة ونفسه الطموح."[١١]

لكن الخفاجي كانت نفسه الطموح لا تنازعه الرغبة في الإمارة فحسب بل في العلم والتصنيف أيضًا،فقد بر بما وعد، وأوفى بما عاهد عليه، فوضع بالفعل هذا الكتاب الذي يحمل عنوان (الحكم بين النظم والنثر) وقد ذكره الصفدي في فوات الوفيات من بين مصنفات الخفاجي.[١٢]ويبدو أن الدكتور أحمد مطلوب قد فاته ذلك من الصفدي.

كما صنف الخفاجي أيضًا كتاب (الصرفة) [١٣]الذي ناقش فيه قضية إعجاز القرآن وأن الله تعالى هو الذي صرف قلوب العرب عن أن يأتوا بمثله. وذكر صاحب فوات الوفيات من بقية المصنفات كتاب(عبارات المتكلمين في أصول الدين) وكتاب (في رؤية الهلال) وكتاب (حكم منثورة) وكتاب (العروض) لكنها باتت ضائعة مفقودة.

وفاته

في تحقيق تاريخ وفاة ابن سنان ضبابية كثيفة نجمت عن اختلاف الروايات وتضارب الأقوال،من ذلك:

رواية ذكر فيها ابن خلكان أن الخفاجي" توفي يوم الأحد تاسع شوال سنة تسع عشرة وأربعمائة وعمره ثمانون سنة أو أكثر"[١٤] والحق أنها رواية باطلة وبعيدة عن الصواب لأن هناك رواية أخرى لابن خلكان يتحدث فيها عن ابن منقذ فيقول: "توفي أخوه أبو الغيث سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، ورثاه الشيخ الأديب أبو محمد عبدالله بن سنان الخفاجي الحلبي"[١٥].

فكيف يرثي الخفاجي أبا الغيث سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وقد توفي –حسب زعم ابن خلكان في روايته الأولى- سنة تسع عشرة وأربعمائة؟ كما أن الخفاجي ذكر

---

١٠ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢٨٣.

١١ أحمد مطلوب، القزويني وشروح التلخيص، ص ٥٦.

١٢ الكتبي، فوات الوفيات، (٢/٢٢٢).

١٣ الكتبي، فوات الوفيات، (٢/٢٢٢).

١٤ ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٣/٢٣٥).

١٥ ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٣/٢٧٣).

في آخر كتابه(سر الفصاحة) أنه فرغ منه سنة أربع وخمسين وأربعمائة. ثم إن هناك طائفة من قصائد الديوان نظمها الخفاجي بعد ذلك التاريخ الذي رواه ابن خلكان. فهل قال شعرًا بعد وفاته؟

وهناك رواية لابن العديم يقول فيها: "وتوفي أبو محمد في قلعة عزاز في سنة ست وستين وأربعمائة، وقيل سنة أربع وستين وأربعمائة، وحمل إلى حلب، وصلى عليه الأمير محمود بن صالح، وقيل إنه توفي سنة ثلاث وستين والأول أصح".[١٦] لكن هناك اتفاقًا بين الروايات على سرد قصة مصرعه الأليم على يد الأمير محمود بن صالح حاكم حلب، وقد ذكرتها المصادر مما لا حاجة لنا في إرهاق البحث بتكرارها، ويمكن الاطلاع عليها في مظانها[١٧].

أما عن منهجه فإن ابن سنان حين صنف كتابه "سر الفصاحة" لم يكن الطريق لاحبًا أمامه، بل مهد لنفسه طريقا، واستن له منهجًا امتاز بالكثير من الخصائص، ومنها:

١-استقصاء الأشعار لعقد موازنات

تجشم ابن سنان عناء رحلة بحث طويلة،وسفر بعيد الشقة في أعماق الأدب العربي بحثًا عن ركاز دفينة أو لآلئ نفيسة للاحتفاء والاستشهاد بها،فقال:

"وكنت أفتقر إلى تأمل الديوان الكامل حتى أظفر منه بالكلمات اليسيرة فأوردها مثالًا".[١٨]وهو ما يشير إلى الجهود المضنية التي لاقاها في جمع مادة كتابه، إذ تتبع النصوص الأدبية من شعر فصيح،و كلام غريب، فاستقصاها في مظانها، وجمع منها ما يلائم طرحه ويدعم تناوله، عاكفًا على دراستها، مكثرًا من تأملها،مديمًا النظر إليها،منتهجًا التحليل الأدبي طريقًا إلى هدفه ومرماه،معتمدًا في ذلك على ما تهيأ له من ذوق بليغ، وحس رهيف، وطول خبرة بمواضع القبح ومواطن الجمال في الكلام، ومدى إصابته للمعنى وصحة أدائه، أو خروجه على ما تواطأ عليه النقاد في قواعد البلاغة وفنون القول البليغ.

وقد أشار ابن سنان إلى أبرز ملامح منهجه هذا في خطبة كتابه فقال: "ثم نبين بعد هذا كله وأشباهه ماهية الفصاحة، ولانخلي ذلك الفصل من شعر فصيح، وكلام غريب

---

١٦ ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، (٢٦/٢).

١٧ الكتبي، فوات الوفيات، (٢٢٢/٢).

١٨ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١١٤.

بليغ يُتَدَربُ بتأمله على فهم مرادنا، فإن الأمثلة توضح وتكشف وتُخرج من اللبس إلى البيان ،ومن جانب الإبهام إلى الإفصاح،فإن أعان الله تعالى ويسر تمام كتابنا هذا كان مفردًا بغير نظير من الكتب في معناه".[١٩]

يقول الأستاذ كامل الفقي: "وقد شاع في كتابه ذكر الروايات الأدبية، والأحداث والمجالس مما يثقف الأديب ويقف المتأدب المتصفح على أخبار وملح ونوادر وطرف فيجمع إلى درايته بسر الفصاحة فائدة أدبية جمَّةً، وتوافيه معلومات ناضجة الثمار،شهية الأكل لم يكد لها ذهنًا، ولم يجهد فيها خاطرًا، وإنما واتته سائغة واضحة السبيل معبدة الطريق، فدل ذلك على غزارة مادة، وسَعَةِ اطلاعٍ".[٢٠]

لم يشأ ابن سنان-إذن- أن يقدم كتابًا قواعديًّا جافًّا، ولم يَرُقْ له أن يجعله خلوًا من الشواهد الشعرية،من نماذج بهية،وصور بديعة غنية، من شأنها -عادة- أن تزيل اللبس وتقطع باليقين، وأحسب أن الشواهد الأدبية لديه ما سيقت إلا لتعزيز الجوانب النظرية وتأصيلها،لتكون واضحةً وضوح الشمس في رابعة النهار، فبهما معًا يكونان كالصبح في ضحاه، وكالنهار إذا جلاه، وقد حشد ابن سنان قدرًا كبيرًا منها لقضاياه، لتنعقد بها الموازنات، وتصح بها المقارنات والمقاربات،ويتحقق من خلالها المراد، وتَحسُنَ بها الدربة والمران،رغبةً في تهذيب الذوق، وصقل الملكة،وتربية الحس الأدبي، وكأنه يدعو ناديه للنزال، والنزول إلى الميدان، ميدان القول ومعترك الكلام،لمعايشة النص لفظًا ومعنىً، وصورة ومبنىً.

ومن الموازنات الأدبية التي ساقها قوله: "وقد كنت مثلتُ في بعض مواضع الاستعارة المحمودة والمذمومة ببيتين أحدهما قول نصر بن نباتة:

حتى إذا بهرَ الأباطحُ والرُّبَا نظرَتْ إليكَ بأعينِ النُّوَّارِ

فنظَرُ أعينِ النوارِ من أشبه الاستعارات وأليقها؛ لأن النوارَ يشبه العيون، وإذا كان مقابلًا لمن يجتاز فيه ويمر به كان كأنه ناظر إليه، وهذه الاستعارة الصحيحة الواضحة التشبيه.[٢١]

والبيت الثاني قول أبي تمام:

قَرَّتْ بِقُرَّانَ عَينُ الدِّينِ وانشَتَرتْ بالأَشْتَرَيْنَ عُيونُ الشِّرْكِ فاصْطُلِمَا[٢٢]

---

[١٩] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٤.

[٢٠] الدوريات، مجلة الأزهر، مقالات الأستاذ كامل الفقي، القاهرة، ١٣٦٤ه، (١٩٠/١٦).

[٢١] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١١٨.

وقرة عين الدين، وانشتار عيون الشرك من أقبح الاستعارات لعدم الوجه الذي لأجله جعل للدين والشرك عيونًا. ومع تأمل هذين البيتين يُفهَم معنى الاستعارة؛ لأن النوار والشرك لا عيون لهما على الحقيقة، وقد قبحت استعارة العيون لأحدهما وحسنت للآخر، وبيان العلة أن النوّار يشبه العيون،والدين والشرك ليس فيهما ما يشبهها ولا يقاربها،وهذه طريقة متى سُلِكَت ظهر المحمود في هذا الباب من المذموم".[٢٣]

ولكنه لا يذكر شاهدا واحدًا حتى يشفعه بآخر فيوازن بين قول أبي عبادة :

ولم أنس ليلتنا في العناقِ لفَّ الصَّبا بقضيبٍ قضيبَا

وقول غيره:

وَضَمٌّ لم يُنَهْنِهُ اعتناقٌ كما التفَّ القَضِيبُ على القَضِيبِ

فهذان البيتان وإن تساويا في كمية الألفاظ فإن بيت أبي عبادة أوضح؛ لأنه بيَّن بذكر الصبا ما يلف القضيب على القضيب.[٢٤]

ومن ذلك أيضًا قول أبي القاسم المطرز البغدادي:

وردتُ وقد حلَّ لي ماؤُه فلمَّا بكيتُ عليه حَرُمْ

وقول مهيار بن مرزويه:

بكيتُ على الوادي فحرَّمْتُ ماءَهُ وكيفَ يحِلُّ الماءَ أكثرهُ دَمُ[٢٥]

---

[٢٢] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٨٧.

[٢٣] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١١٤.

[٢٤] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢٠٥.

[٢٥] ابن كثير، البداية والنهاية, (١٥/٦٦٥), الكاتب الفارسي،أبو الحسن،يقال له:الديلمي،شاعر كبير،في أسلوبه قوة، وفي معانيه ابتكار، جمع بين فصاحة العرب ومعاني العجم،ولد في الديلم جنوب جيلان على بحر قزوين، كان مجوسيا فأسلم سنة ٣٩٤ه على يد الشريف الرضي، وعليه تخرج في الشعر والأدب، واستخدم في بغداد للترجمة عن الفارسيةإلا أنه سلك سبيل الرافضة،كان ينظم الشعر القوي الفحل في شيء من مذاهبهم من سب الصحابة وغير ذلك،حتى قال له أبو القاسم بن برهان: انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى،كنت مجوسيا،فأسلمت،فصرت تسب الصحابة.وقد كان منزله بدرب رباح من الكرخ، وفاته في جمادى الآخرة سنة ٤٢٨هـ، له ديوان شعر كبير من أربعة أجزاء، ومنه قوله:

أجارَتَنَا بالغَورِ والركْب منهُمُ أيعلَمُ خالٌ كيف باتَ المتيَّم
رحلْتمْ وعمرُ الليلِ فينا وفيكمُ سواءٌ ولكنْ ساهرونَ ونُوَّمُ
ولما جلا التوديعُ عما حَذرْتُهُ ولم يبقَ إلا نظرةٌ تتغنَّمُ
بكيتُ على الوادِي فحَرَّمْتُ ماءَهُ وكيف يحلُّ الماءَ أكثرَهُ دمُ

فبيت مهيار وإن قاربت ألفاظه عدد ألفاظ بيت المطرز فقد تضمن من إيضاح المعنى ما لم يتضمنه بيت المطرز؛ لأن قائلًا لو قال: لم حرم الماء لما بكى عليه؟ لوجب في حق تفسير المعنى وإيضاحه أن يقال: لأن دموعه كانت دمًا غلب على هذا الماء، والدم حرام،فقد أتى مهيار بهذا التفسير في متن البيت".[٢٦]

هكذا أعطى ابن سنان أسلوباً مزج فيه الحقائق العلمية بنماذج فنية، وروح أدبية،من خلال الشواهد التي ظفر بها، لكنه ما كان يطلق صيده شاردًا حتى يذيله بحكم نقدي مشفوع بتعليق أدبي رصين يشير إليه، ويدل عليه، فيزيد ذلك التعليق الشواهد ثراءً ويضفي عليها حياةً، فإذا بنا أمام تعليق منطقيٍّ أدبيٍّ مستوحىً من ذوق المصنف وأدبه، ليبرهن عمليًّا على أن دراسة البلاغة إذا اقتصرت على القواعد الجافة وخلت من شواهد الأدب ما كانت لها قيمة، ولانعدمت من ورائها الجدوى. وهو ما يشهد بنضوج فكر ابن سنان وخصوبة رأيه، ويعكس صورة صادقة لتمرسه في الأدب والنقد معًا.

لم يكن ابن سنان بِدْعًا في هذا المنهج القائم على الجمع بين النظرية والتطبيق،فلقد سبقه مصنفون حفل بهم عصره، يقول الأستاذ كامل الفقي: "لم يكن الخفاجي في سر الفصاحة جافًّا يذكر القواعد والأصول مجردة، وإنما كان مجاريًا من سبقه من مؤلفي ذلك العصر الذين لم يعكفوا على الأسلوب العلمي المحض بل دعموه بالتمثيل الأدبي الرائع ، وإنك لتلمح هذه الظاهرة في كتابه فتراه يحملك على الإعجاب به،والتصديق لما ذهب إليه، بارعًا في تصويره،محكمًا في قياسه".[٢٧]

لكن ابن سنان ما كان يأتي بالشواهد من حيث هي فيحشو بها صفحات كتابه كيفما اتفق،وإنما كثرة الشواهد كانت مشفوعة بذكر الأسباب الفنية، والأحكام النقدية التي قدمت هذا النص على غيره، وسمت به على ما سواه، وبيان العيوب التي أخرت ذاك فقعدت به عن مجاراة نص آخر تعداه. ومن هنا حسن مذهبه،وحُمد منهجه.

ولو أن المصنف أطلق العِنان لقلمه لحفل كتابه بشواهد أكثر مما أوردها رغم كثرتها، إذ كانت تنازعه رغبة في العود إلى ما استقصاه وجمَعَهُ من أشعار كدَّ في

---

٢٦ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢٠٥.

٢٧ مقال الأستاذ كامل الفقي، مجلة الأزهر١٦، ص ١٨٩.

تحصيلها، وعزَّ عليه ألا يدونها ويحتفي بها، لكنه "فرق من الإطالة والتثقيل على الناظر فيه بالملل والسآمة فعدل إلى وضع ذلك في كتاب مفرد".[٢٨]

٢-إبراز السمات المشتركة بين النماذج الشعرية المختارة

لم يكتف ابن سنان بإيراد الشواهد الشعرية فحسب وإنما حرص على ترسيخ ما تحمله من مفاهيم،وما تتضمنه من معان، وما بينها وبين بعضها من سمات مشتركة، وما يمتاز به نص على آخر من فروق دقيقة يتفوق بها عليه في إصابة المرمى. ولعل أوضح مثال على ذلك استشهاده ببيتين أولهما للشريف الرضي في قوله:

والحُبُّ داءٌ يَضْمَحِلُّ كأنَّما تَرْغُو رواحِلُهُ بِغَيرِ لُغَامِ

فلم يرقه قول الشريف ورأى أن استعارته ذميمة وقبيحة، لكنه مع ذلك يرى أن استعارته قريبة من استعارة زهير بن أبي سلمى في قوله (أفراس الصبا ورواحله) من بيته:

صَحَا القلْبُ عَنْ سَلْمَى وأَقْصَرَ باطلُهْ وَعُرِّيَ أفراسُ الصِّبَا وَرَواحِلُهْ

فالشريف التقى زهيرًا، لكن الأول كان أبعد من الثاني مدى حين بنى استعارته فجعلها تعتمد على أمر آخر غير قريب، وهو أن(رواحل الصبا ترغو بغير لغام)، الأمر الذي يستقبح عند ابن سنان.

٣-تغليب الشواهد الشعرية على النثرية

لم يكتف ابن سنان بالإكثار من الشعر بل قدمه على النثر وجعله أولى منه في الاستشهاد،فالشعر أقرب إلى النفس، وأعلق بنياط القلب، وأسهل في الحفظ،وأمتع للوجدان، معللا ذلك بقوله:

" فأما اقتصاري في أكثر ما أمثل به على المنظوم دون المشهور مع أن كلامي عليهما واحد فإنما أقصد ذلك لكثرة المنظوم واشتهاره ورغبتي في أن يُسَهِّل الوزنُ عليك حفظ ما أذكره فإنه داع قوي وسبب وكيد".[٢٩]

---

[٢٨] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢٨٢.

[٢٩] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٧١

٤-الوضوح

اتسم منهج ابن سنان بالوضوح والبيان،فلاغموض فيه ولا تعقيد، ولا إبهام ولا رموز ولا تهويل،بل آراء واضحة جلية، تقع في قلب القارئ وتثير عقله،وقد تمكن المصنف من خلال ما بثه من آراء في مصنفه من تعميق مفاهيمه،وترسيخ مقاييسه، متخذًا من الصور الأدبية شعرية كانت أو نثرية مرقاة إلى إقناع القارئ بصحة فكرته، وتأكيد نظريته،بل إنه ليلح على ذلك،فيأتي الفكرة من بين يديها ومن خلفها،ويناقشها من مختلف أبعادها، حتى ولو كانت بمثابة افتراضات يفترضها المصنف، فلربما تعن للقارئ وتدور بمخيلته، أو انتقادات تعتمل في ذهنه، فيرد ابن سنان على ذلك قبل وقوعها ليظل الحبل موصولا بينه وبين المتلقي، فيقول: (فإن قيل كذا ،قلنا كذا) فيتولى الرد على ما يدور بخلد غيره، وهو أسلوب يسير عليه ابن سنان في كتابه، فيناقش القضايا ويفند الحجج،ويقطع بالبراهين الدامغة، فلا يدع قارئه حتى يجيبه عما يعتوره من أفكار، ويمور بوجدانه من رؤىً، مما يجعل خصمه يذعن فيسلم بعد هذا البيان؛بصحة نظرية ابن سنان. وهو متأثر في ذلك بالمنهج المعتزلي القائم على الجدال والإقناع، لكن بأسلوب سهل دون الغوص في تعقيدات غامضة.

هذا المنهج الذي اتسم به سر الفصاحة مختلف تمامًا عن منهج المتأخرين الذين سيطرت عليهم النزعة الكلامية، والآراء الفلسفية الغائرة فاحتاجت مؤلفاتهم إلى الشروح والحواشي والتقريرات لبيانها.

٥-وضع التعريفات والضوابط للمفاهيم والمصطلحات

لم يغفل ابن سنان وضع تعريفات وحدود لما يتعاطاه البلاغيون من مفاهيم ومصطلحات بلاغية، فاطلع على تقسيماتهم وتعريفاتهم فهضمها ووعاها،استحسن منها ما استحسن، واستقبح ما استقبح، ونقد منها ما نقد،فإذا عنَّ له تعريف جامع مانع أخذ به وأشار إلى قائله ورسخه بشواهد تؤكده، وإذا لم يرقه تعريف أو تقسيم لم يكن ليقبل به أو يسلم به أو يغض الطرف عنه بحجة أنه قد تواضع عليه السابقون، بل يرده ويطرحه ويبين ضعفه وما شابَهُ من ضعفٍ وقصور، وما اعتراه من نقص وفتور.فالتعريف ينبغي أن يكون "جامعًا لأفراده،مانعًا لأغياره" كما يقول المناطقة.

فإذا هو إزاء تعريفات لاكتها الألسن، وتطاول عليها العمُر،وما هو بالذي يرضى بكلام الآخرين -مهما علا قدرهم-غاية الرضا دون مناقشة، كما قال عن أبي القاسم

الحسن بن بشر الآمدي في إحدى نقداته له لبيت امرئ القيس ذات مرة-ولو كنت أسكن إلى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة أو أجنح إلى اتباع مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل عما يقوله أبو القاسم،لصحة فكره، وسلامة نظره،وصفاء ذهنه،وسَعَة علمه، لكنني أغلب الحق عليه، ولا أتبع الهوى فيما ذهب إليه."[٣٠]

لذا كانت لابن سنان وقفات وتعليقات،يهدم بها عروشًا وينقضها،فيمنع التداخل بين الشيئين في المصطلحات فلا يلتقيان، ويكون بينهما برزخ لا يبغيان،كيما تختلط الفواصل أو تتماهى،أو يشاركها في التعريف ما عداها.من ذلك مثلا: تفريقه بين حد البلاغة ووصفها، مبينًا أن قول البلاغيين عن حدها "لمحة دالة" بأنه وصفٌ لا حد. إذ الحد قاطع لا يحتمل تأويلًا، كما أن ألفاظه تكون واضحةً لاتداخل فيها.

يقول: "وقد حد الناس البلاغة بحدود إذا حُقِّقَت كانت الرسوم والعلائم، وليست بالحدود الصحيحة، فمن ذلك قول بعضهم: "لمحة دالة" .وهذا وصف من صفاتها، فأما أن يكون حاصرًا لها، وحدًّا يحيط بها فليس ذلك بممكن لدخول الإشارة من غير كلام يتلفظ به تحت هذا الحد.

وكذا نقده قول آخر: " البلاغة معرفة الفصل من الوصل؛ لأن الإنسان قد يكون عارفًا بالفصل والوصل، عالمًا بتمييز مختار الكلام من مُطَّرَحِه، وليس بينه وبين البلاغة سبب ولا نسب، ولا يمكن أن يؤلف ما يختاره من تأليف غيره، والحدود لا يحسن فيها التأول، وإقامة المعاذير،وغرابة ألفاظ لا تدل على المقصود؛ لأنها مبنية على الكشف الواضح، موضوعة للبيان الظاهر، والغرض منها السلامة من الغامض، فكيف يوقَع غامضٌ بمثلِهِ".[٣١]

كما أنه خطأ البلاغيين في قولهم: " البلاغة أن تصيب فلاتخطئ، وتسرع فلا تبطئ؛ لأن هذا يصلح لكل الصنائع، وليس بمقصور على صناعة البلاغة وحدها". فهذا مما تشترك فيه كل الصنائع، فأين الحد الفاصل هنا بين البلاغة وغيرها؟

ولما سئل عن بيان الصواب في هذه الصناعة من الخطأ، جعل جواب السائل نفس سؤاله، وبهذا أيضًا يَفسُدُ قولُ من ادعى أن حدَّها الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل. وقول من قال: إن البلاغة اختيار الكلام وتصحيح الأقسام؛ لأن هذين إنما

---

٣٠ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١١٧.

٣١ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٥٤.

سئلا عن حدٍّ يُبيِّنُ الكلام المرفوض من المختار، والخطأ من الصواب، ويوضح كيف يكون الإيجاز مختارًا ومتى يقع الإطناب مرضيًّا محمودًا".[٣٢]

وقد عرض ابن سنان لتعريفات السابقين لهذا المصطلح البلاغي فلم يأخذ بتعريف واحد منهم لقصورها عن التحديد الدقيق، وعدم شمولها لتعريف جامع مانع، وإن كان قد استحسن قول إبراهيم بن محمد المعروف بالإمام: "يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق،ولا الناطق من سوء فهم السامع، وهذا كلام مختار في تفضيل البلاغة".[٣٣]

وفي موطن آخر من تعريفاته تحدث عن حد الإيجاز المحمود، فقال:

"ويجب أن يُحدَّ الإيجاز المحمود بأن نقول هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ، وهذا الحد أصحُّ من حد أبي الحسن الرُّمَّاني بأنه العبارة عن المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ، وإنما كان حدُّنا أولى؛ لأننا قد احترزنا بقولنا إيضاح، من أن تكون العبارة عن المعنى وإن كانت موجزة غير موضحة له،حتى يختلف الناس في فهمه، فيسبق إلى قوم دون قوم حسب أقساطهم من الذهن وصحة التصور، فإن ذلك وإن كان يستحق لفظ الإيجاز والاختصار فليس بمحمود حتى يكون دلالة ذلك اللفظ على المعنى دلالة واضحة".[٣٤]

والمقياس الذي يقيمه ابن سنان في تحديد الأطر المحكمة للمصطلح ليست إصرًا قواعديًّا يقيده فحسب بقدرما هو ذوق أدبيّ خالص، جعل منه فيصلًا في تمييز الحسن من القبيح و الجيد من الرديء، معللا ذلك ومبينًا سر تفضيل هذا على ذاك، ثم يلقي إلى القارئ بالحكم في آخر المطاف، ولعل أبرز دليل على ذلك استشهاده بقول امرئ القيس ونقده لأبي القاسم الآمدي،وقد أعجبه البيت وعد استعارته في غاية الحسن والجودة:

فَقُلْتُ له لمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وأردَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

لقد هدم ابن سنان ما بناه الآمدي ورأى أن الاستعارة في البيت ليست من نوع الاستعارة الجيدة أو الرديئة، وإنما جعلها وسطًا بينهما؛ لأن الاستعارة فيه مبنية على

---

٣٢ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٥٤.

٣٣ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٥٥.

٣٤ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢٠١.

غيرها، فذِكْرُ الصُّلب إنما حَسُنَ لأجل العجُز،والوسط والتمطي لأجل الصلب، والكلكل لمجموع ذلك.[٣٥] ونلحظ هنا أن القاعدة التي وضعها ابن سنان تنص على أن الاستعارة المبنية على غيرها من أبعد الاستعارات وأقبحها، ولكنه كان موزع الخاطر بين الولاء للقاعدة التي وضعها لهذا النوع من الاستعارة على الرغم من فسادها وبين جمال التصوير في البيت الذي يحسه من له أدنى صلة بالتصوير البياني.

٦-عزوفه عن حشو الكتاب بمصطلحات متعددة للمفهوم الواحد

اتسم منهج ابن سنان بالتحديد الدقيق للمفاهيم والمصطلحات، فعزف عن الإكثار من المصطلحات الدالة على معنى واحد للمفهوم البلاغي، مخالفًا بذلك ابن قدامة فيما اخترعه من مصطلحات، وما أتى به من ألقاب وأسماء،ومشيرًا في الوقت ذاته إلى أن من أسرفوا على أنفسهم في الفنون البلاغية التي عالجوها إنما أكثروا فقط من استعمالها دون أن يأتوا بجديد يحسب لهم في دراستهم لهذه الفنون،فقال: وقد صنف قوم في نقد الشعر رسائل ذكروا فيها أبوابًا من الصناعة لا تخرج عما ذكرناه في كتابنا هذا إلا أنهم ربما جعلوا للمعنى الواحد عدة أسماء **كالترصيع** الذي يسمونه ترصيعًا، وموازنةً، وتسميطًا، وتسجيعًا، وهو كله يرجع إلى شيء واحد، وإذا وقف على ما صنفوه في هذا الباب وجد الأمر فيما قلنا ظاهرًا، والتكرير بينًا واضحًا".[٣٦]

كما كانت له وقفة إزاء تعريفات البلاغيين **للطباق**، فسمى أصحاب صناعة الشعر المتضاد من معاني الألفاظ بالمطابق، وسماه أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب بالمتكافئ، وأنكر عليه أبوالحسن بن بشر الآمدي، وسماه الأخفش تجنيسًا، وبعض أصحاب صناعة الشعر سموا ما كان قريبًا من التضاد بالمخالف،وقسم بعضهم التضاد في اللفظ بالمطابق، والتقابل في المعنى بالمقابلة إلى غير ذلك ليخلص ابن سنان إلى أن التسمية لا حاجة لنا إلى المنازعة فيها؛ لأن الغرض فهم هذه المناسبة دون الكلام في أحق الأسماء بها، على أن الذي يختاره ابن سنان هو تسمية الجميع بالمطابق؛ لأن الطبق للشيء إنما قيل له طِبْقٌ؛لمساواته إياه في المقدار إذ جُعِل عليه أو غُطِّيَ به،فالطباق عنده هو مقابلة الشيء بمثله الذي هو على قدره.وقد وضع له ضابطًا فقال:

---

[٣٥] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١١٦، ١١٧.

[٣٦] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٩١.

"وهذا الباب يجري مجرى المجانس، ولايستحسن منه إلا ما قل ووقع غير مقصود ولا متكلَّف، فأما إذا كان معنيا الكلمتين **غير** متناسبين لا على التقارب ولا على التضاد فإن ذلك يقبح".[٣٧]

٧-الأمانة العلمية

أولى ابن سنان الأمانة العلمية في كتابه أولوية كبيرة، والتزمها فلم ينقل قولًا لغيره ولا رأيًا لأحد إلا ونسبه إلى صاحبه، حتى إنه ليذكر في بعض المواطن اسم المصدر الذي نقل عنه واستقى منه حرصًا على الدقة و الأمانة العلمية ورغبة منه في رعايتها، وإيمانًا منه بأن مصداقية المصنف هي من تمنح الكتاب قيمة علمية، وبها ينال ثقة جمهور القراء والمتلقين، لاسيما وأن أقوال العلماء متداولة بين طلبة العلم، فما من سبيل إلى خداع القراء، فالعلم رَحِمٌ بين أهله، ولنا أن نتأمل قوله: "وقد ذهب أبوالفرج قدامة بن جعفر الكاتب إلى أن المعاني في صناعة تعلم الكلام موضوع لها، وذَكَر ذلك في كتابه الموسوم بـ(نقد الشعر)، وقال في كتابه (الخراج وصناعة الكتابة) عند كلامه على البلاغة: إن اللغة تجري مجرى الموضوع لصناعة البلاغة. وهذان القولان على ما تراه مختلفان، والصحيح منهما ما قدمناه وذكره في كتاب الخراج."[٣٨]

فابن سنان ينسب القول إلى قائله، ويسنده إلى صاحبه،وهو منهج السلف من العلماء الثقات، وقد قرأت في ذلك قولا منسوبًا إلى الإمام مالك: " إن من بركة العلم أن ينسب القول إلى قائله" وقد التزم ابن سنان ذلك النهج في مواطن شتى من كتابه فقال مثلًا: "ومِنْ وَضْعِ الألفاظ موضعها حسن الاستعارة، وقد حدها أبوالحسن علي بن عيسى الرماني فقال: "هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة."[٣٩]

لم ينحصر دور ابن سنان على النقل من أقوال العلماء وآرائهم فحسب، وإنما كان يُتْبِعُهُ بمناقشة الرأي،وتقليبه على وجوه مختلفة، ثم إبداء رأيه فيه،رغبة منه في إضافة جديد وأن ينأى بالكتاب عن وصمه بالانتحال، وبنفسه عن السطو على أعمال

---

[٣٧] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٩٢.

[٣٨] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٨٩.

[٣٩] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١١٣ .

الآخرين، وهما صفتان قمينتان بأن يحطا من قيمة أي كتاب، ويضعا من شرف صاحبه فيكون العمل حينئذ مشينًا مردودًا.

ولئن أمسك ابن سنان خطأ على غيره كالذي أمسكه على قدامة بن جعفر الذي وقع فيما نهى عنه وحذر منه من (قبح تكرار حروف الرباطات) فقال: في "كتابه الخراج وصناعة الكتابة: فأما:له منه، أو منه عليه، أو به له،أو ما جرى هذا المجرى ففيه قبح، وسبيل ذلك إذا وقع،أن يحتال في فصل ما بين الحرفين بكلمة، مثل أن يأتي ما يحتاج إلى أن يقال فيه:أقمت شهيدًا به عليه،فيقال:أقمت عليه شهيدًا به، ثم قال بعد أوراق يسيرة، وبلغني أن المأمون أمر عمرو بن مسعدة يومًا أن يكتب لرجل له به عناية،فأُنسِيَ أبو الفرج ما قدَّمَهُ، وسها عما أنكره، وقد كان يمكنه أن يعبر عما قاله أولا، فيقول: لرجل له عناية به. ويجب أن يجعل هذا الزلل عذرنا فيما لعلنا نأتي به في هذا الكتاب من لفظة قد أنكرناها وأمرنا بتجنبها،فإن الإنسان عمٍ عن عيبه، ولنا بمن ذكرناه أسوة."[٤٠]

ولئن سها قدامة فوقع فيما حذر منه وأمسك عليه ابن سنان سهوه إلا أن الأخير لم يتخذها زلة لإظهار أنه لا يقع في السهو والنسيان،ولم ينصب من نفسه نبيًّا معصومًا ولا ملكًا مقربًا،لايسهو ولا يزل، ولا ينسى ولا يضل،بل تزلف لقارئه فرغب في أن يعفو عنه إن أمسك عليه سهوًا أو خطأ فالإنسان عم عن عيبه .

كما أن ابن سنان-في موطن آخر- يرى أن نسبة النسيان إلى نفسه واتهام ذاته أهون عليه من أن يضلل القارئ فيحيله إلى مصدر من المصادر دون التثبت منه على جهة اليقين،يقول: "وقد وقفت في بعض المواضع على كلام في هذه الصناعة- لا أعلم الآن صاحبه قدامة أو غيره لأني قد أُنسيت الكتاب الذي وجدته فيه- يدل على أن الألفاظ موضوع كما قلنا."[٤١]

٨-براءة المنهج من نزعات الأنا،وعلو الذات

ابن سنان أديب مطبوع، وشاعر مشهور،وعالم جليل،حظي بمنزلة في العلم ومكانة في الأدب تؤهله لأن يزهو بنفسه،ويعتد بذاته،وينتشي بفكره، ويتباهى بتجديده،ويغالي في التحدث عن نفسه،من خلال شعره وكتبه، وهي حالة نرجسية نراها في بعض الشعراء والكُتاب الذين اجتمعت في شخصياتهم مقومات النزعة الفخرية.لكن ابن

[٤٠] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٩٩.

[٤١] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٩٠.

سنان عف عن ذلك، ولم يلتفت إلى ذاته،فسما به أدبه الجم،وتواضعه الرفيع عن الانزلاق بمصنفه إلى مهاوي الكبر ونزق الغرور. فمناقشاته الآراء سواء أكان موافقًا أو مخالفًا كان دثارها التواضع، وإمامها الحق، لذا كان نقده منصبًّا على نقد الرأي دونما تجريح للشخص أو اتهام لغيره بالنقص، أو التعالى عليه.

يقول: "وليس إيرادي هذه الأمثلة على جهة الطعن على هؤلاء الشعراء الفضلاء والغض منهم،وكيف يكون ذلك وسأورد من غرائبهم وبدائع كلامهم ما يعلم معه أننا تحت تقصير عن شأوهم،ويقع العجز عن إدراك القريب من غاياتهم،لكنني إذا احتجت إلى إيراد الأمثلة في المختار والمنبوذ، والمحمود والمذموم فلا معدل لي عن أشعارهم، وتصفح نظمهم، وأخذ ما أريده منها وإيراده عنها الصنفين معًا."[٤٢]

ويقول في موطن آخر:"ولست أدعي السلامة من الخلل، ولا العصمة من الزلل، وأعترف بالتقصير،وأسأل من ينظر في كتابي هذا بسط عذري، والصفح عما لعله يثيره علي."[٤٣] وهو لا يفتأ يكرر المعنى نفسه بقوله: "ويجب أن يجعل هذا الزلل عذرنا فيما لعلنا نأتي به في هذا الكتاب من لفظة قد أنكرناها وأمرنا بتجنبها فإن الإنسان عمٍ عن عيبه."[٤٤].

وفي موطن آخر يقول:"وقد قدمنا فيما مضى من هذا الكتاب أننا لم نذكر هذه الأبيات الذميمة وغرضنا الطعن على ناظمها،وإنما قادتنا الحاجة في التمثيل إلى ذكر الجيد والرديء،والفاسد والصحيح،على ما ذكرناه سالفًا".

كما اتسم منهج الكتاب بشخصية صاحبه من حيث يقظة الضمير العلمي،وتحري الموضوعية والتجرد والإنصاف ونشدان الحقيقة، يقول ابن سنان:

"ومعاذ الله أن يخرجنا بُغضُ التقليد وحبُّ النظر من الطرف المذموم في الاتباع والانقياد إلى الجانب الآخر في التسرع إلى نقص الفضلاء،والتفنيد لما لعله اشتُبِهَ على بعض العلماء، والرغبة في الخلاف لهم،وإيثار الطعن عليهم، بل نتوسط –إن شاء الله- بين هاتين المنزلتين، فننظر في أقوالهم ،ونتأمل المأثور عنهم،ونسلط عليه صافي الذهن،ونرهف له ماضي الفكر،فما وجدناه موافقًا للبرهان وسليمًا على السبر اعترفنا بفضيلة السبق فيه، وأقررنا لهم بحسن النهج لسبيله، وما خالف ذلك وباينه اجتهدنا في

---

٤٢ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٦٨.

٤٣ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٢٣.

٤٤ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٩٩.

تأويله وإقامة المعاذير فيه،وحملناه على أحسن وجوهه،وأجمل سبله، إيجابًا لحقهم الذي لا يُنكَر، وإذعانًا لفضلهم الذي لا يُجحَد، وعلمًا أنهم لم يؤتوا من ضلالة ولا كلال ذهن وفطنةٍ، ولكن لاستمرار هذه القضية في المحدثين، وعمومها أكثر المخلوقين، ومن الله نستمد التوفيق والمعونة برحمته."[٤٥]

كما حرص ابن سنان أشد الحرص على الإنصاف والعدل، والوقوف موقف الحياد من الموازنات الأدبية، فبدا حرًّا طليقًا،واضحًا صريحًا،فك عن نفسه كل الآصار والأغلال، رائده الحق والهدى،لا التعصب والهوى، فانتقد شيخه المعري وخطَّأهُ، ومن ذلك قوله: "ومن المجانس فنٌّ ورد في شعر أبي العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان وسماه لنا في (مجانس التركيب)؛لأنه يركب من كلمتين ما يتجانس به الصيغتان، كقوله:

مَطَايَا مَطَايَا وَجَدّكُنَّ مَنازِلُ مَتَى زلَّ عَنْها ليْسَ عني بمقْلَعِ

وما أحفظ لأحد من الشعراء شيئًا من قبيله وهو عندي غير حسن ولا مختار ولا داخل في وصف من أوصاف الفصاحة والبلاغة."[٤٦]

٩-حيادية موقفه من القدماء والمحدثين أصيلة في منهجه النقدي

القديم والحديث قضية متصلة بما توخاه ابن سنان في منهج كتابه من الإنصاف والحيادية، فقد نظر إلى الأخطاء التي وقع فيها القدماء والمحدثون بعين النصفة والتجرد،فذهب إلى أن التقدم في الزمن لا يعصم من الخطأ ولا يجعل صاحبه بمنجاة عن الزلل، ولا التأخر في الزمن يوقعه في شَرَكِ الخطل، فتكون لغيره مندوحة في انتقاصه.

قال ابن سنان: "وكما يلتمس من المتأخر الحسن الصحيح كذلك يلتمس من المتقدم،وما أحسب أن أحدًا ممن ينسب إلى العلم ويتميز بصحة الفهم يحتاج في اختيار الاستعارة إلى معرفة صاحبها وزمانه حتى يكون حكمه على من تقدم مولده يخالف حكمه على من قرب عهده."[٤٧]

وقال أيضًا: "وقد يذهب كثير ممن يختار الشعر إلى تفضيل ما يوافق طباعه وغرضه، ويذهب قوم إلى اختيار ما لم يتداول منه، حتى يكون للوحشي الذي لم يشتهر مزية

[٤٥] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٣٧، ١٣٨.

[٤٦] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٩٠.

[٤٧] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٢٤.

عندهم على المعروف المحفوظ، ويخالفهم آخرون فيختارون سائر الشعر على خامله، ومشهوره على مجهوله، ويستحسن قوم الشعر لأجل قائله، فيختارون أشعار السادات والأشراف ورؤساء الحروب،ومن يوافقهم من النحلة والمذاهب ويمت إليهم بالمودة أو النسب، وهذه كلها أقوال صادرة عن الهوى، ومقصورة على محض الدعوى من غير دليل يعضدها،ولا حجة تنصرها، والطريق الذي يؤدي إلى المقصود من معرفة المختار في الألفاظ والمعاني هو ما ذكرناه ونبهنا إليه."[٤٨]

وقد خالف ابن سنان ونقد بشدة رأي القاضي أبي الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني[٤٩] حينما دافع عن أبيات للمتنبي حينما أبعد الأخير في الاستعارة وخرج بها عن حد الاستعمال والعادة،فالتمس القاضي العذر للمتنبي من خلال الاستشهاد بمن سبقه من الشعراء كابن أحمر والكميت وابن رميلة.قال المتنبي:

مسرَّةٌ في قُلوبِ الطَّيْرِ مَفْرِقُهَا وحسرةٌ في قلوبِ البيْضِ واليَلَبِ

وقال المتنبي أيضًا:

تجَمَّعَتْ في فؤادهِ هِمَمٌ ملءُ فؤاد الزمانِ إحداها

قال ابن سنان ردًّا على القاضي: "وأما اعتذار القاضي له بالأبيات التي ذكرها، فإنْ كان قصدَ بذلك التنبيهَ على أن أبا الطيب غير مبتدع لهذا الزلل ولا مخترع، بل هو مشارك فيه مماثل له، وقد تقدمه مَنْ سلك هذا الطريق، ونحا هذا النحو،فإن وجب اطراح شعر أبي الطيب وجب اطراح الأشعار كلها؛ لأن العلة واحدة..وإن كان القصد بذلك إقامة العذر للمتنبي وترك الإنكار عليه، إذ كان هذا النهج الذي سلكه مطروقًا، فليس هذا الرأي من معتقده بصواب؛ لأن القول في استعارة أبي الطيب إذا كانت بعيدة غير مرضيةٍ كالقول في كل استعارة كذلك سواء كانت لمتقدم أو لمتأخر،وليس يتميز قبحها بإضافتها إلى رجل من الرجال،ولا زمان من الأزمنة،وإنما هذا شيء يقع للعامة وأشباههم من أغمار الأدباء، فيتخيلون أن للحُسْنِ والقبحِ حُكْمًا يرجع إلى التاريخ،

---

[٤٨] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢٧٤.

[٤٩] من العلماء بالأدب، ولد بجرجان، وولي قضاءها، ثم قضاء الري، فقضاء القضاة، توفي سنة ٣٩٢هـ في نيسابور، من كتبه: الوساطة بين المتنبي خصومه، وتفسير القرآن، وتهذيب التاريخ انظر: خير الدين الزركلي، أعلام الزركلي (١٧٥/٢).

ويتعلق بالإضافة..فعلى ما قلناه ليس قول ابن أحمر حجة لأبي الطيب، لأننا نقول لهما جميعًا: أخطأتما منهج الاستعارة وعدلتما عن الغرض المختار فيها".

لكن ابن سنان يظل متعقبًا قول القاضي مفندًا له فيقول: فأما قوله إنما يُحمَلُ ما جاء من ألفاظ المحدثين وكلام المولدين زائلًا عن السنن على وجوه تقربهم من الإصابة وتقيم لهم بعض العُذر،فكأنه بهذا القول يخص المحدثين من المتقدمين،وليس بينهم من هذا الوجه فرق، وكما يُلتمَس من المتأخر الحسن الصحيح كذلك يلتمس من المتقدم،ومن عدل منهما كان التأويل له واحدًا بحيث يمكن ولا يبعد،ولم يقع بينهما تمييز فيما يوجبه النظر،ويقتضيه الفحص، وما أحسب أن أحدًا ممن ينسب إلى العلم ويتميز بصحة الفهم يحتاج في اختيار الاستعارة إلى معرفة صاحبها وزمانه،حتى يكون حكمه على من تقدم مولده يخالف حكمه على من قَرُبَ عهده"

ثم يفصل ابن سنان سر تفضيل كلام العرب المتقدمين على كلام المتأخرين فيقول: " فلعل من يجدنا نستدل بكلام العرب المتقدمين على لغتهم ولا نستدل بكلام المتأخرين يتخيل أن هذا شيء يرجع إلى الزمان،وليس الأمر كذلك،وإنما العرب الأُوَلُ لما كثر الإسلام واتصلت الدعوة وانتشرت،حضر أكثرهم،وسكنوا الأرياف وفارقوا البداوة،وخالطهم الباقي،فامتزج كلامهم بمن جاوروا من النباط وعاشروا الأعاجم،وعُدِمَ منهم الطبع السليم الذي كانوا عليه قبل هذه المخالطة،فهم الآن لا يُحتَجُّ بكلامهم لهذه العلة،لا لأن القدم والحدوث سببان في الصواب والخطأ".

ولا يفتأ يذكر تلك القضية ويتعرض لها بين الحين والآخر في كتابه ففي تفصيله (الإيجاز) "وسوف نتحدث عن الكلام بالإضافة إلى زمان قائله-حتى يقدَّم كثير من المتقدمين على المحدثين بمجرد تقدمهم بما نستوفي الحجةفيه،ونزيل موقع الشبهة، وإن كانت ضعيفة لاتخفى على من طباعه سليمة، وبنيته صحيحةً."[٥٠]

١٠-اختياره من شعر القدامى دون المحدثين

عني ابن سنان بالاختيار من شعر الفحول القدامى وضرب صفحا عن شعر المحدثين، الذي رأى فيه أنه دون مستوى الصحة والجمال، وأنه قد ينحط إلى درك الركاكة و الابتذال، فقال: "ولو تأملت قصيدة واحدة من من شعر من يدعي القريض في

٥٠ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٩٩.

هذا العصر وجدت فيه عدة أمثلة لكل ما أكرهه وأنكره إلا أنني أعتمد على التمثيل بأشعار هؤلاء الفحول المتقدمين في هذه الصناعة؛ لأمور:

أولها: صيانة هذا الكتاب عن تهجينه بذكر غيرهم.

ثانيها: أن اللفظة التي تكره في نظم هؤلاء الحذاق تقع فريدة وجيدة ويظهر مباينتها لكلامهم، فالعلم بها واضح،وكشفها جلي.

ثالثها: إيثاري أنْ أُعْلمَك أن مقدمي الفصاحة سامحوا نفوسهم وأصبحوا في طاعة أهوائهم ليتحقق أن الزلل في طباع البشر موجود والعصمة عن أكثرهم بائنة."[٥١]

فمن القدامى الجاهليين والمخضرمين الذين اختار لهم: امرؤ القيس، وطرفة، والنابغة، والأعشى، وزهير، وعمرو بن كلثوم، ولبيد بن ربيعة، وعبيد بن الأبرص، وقس بن ساعدة،وسحيم بن وثيل الرياحي..ومن الإسلاميين حسان بن ثابت، ومن الأمويين جرير،والفرزدق، والأخطل،ومن العباسيين المتنبي وأبوتمام والبحتري وغيرهم.

١١-تجنب الاستطراد في قضايا عَرَضية

حرص ابن سنان على المضي قدمًا في طريق مرسومة غاياتها،واضحة معالمها وأهدافها، فتحاشى الاستطراد في قضايا هامشية، وابتعد عن التعمق في موضوعات هامشية، ولا يفهم من كلامنا أن مادة الكتاب انحصرت في البلاغة فحسب،بل إن الكتاب قد تطرق إلى علوم شتى وفنون كثيرة، لكن ابن سنان كان دائمًا ما يضبط إيقاع قلمه، ويرشِّدُ سيلان مداده، ويمسك بزمامه من أن يطغى الفرع على الأصل، وتجور الحواشي على المتون فيقطع العهد بموضوعه، فكلما سنحت لقلمه سانحة من الشرود فإنه يعود به فيضبطه ويسكنه ويرشده، حرصًا منه على أن يبقى منهجه رصينًا، وعمله محكمًا سليمًا.

من ذلك مثلًا قوله وهو بصدد الحديث عن فضائل العرب: "فإني لو رُمْتُ إيضاح ذلك بجملته، وإيراده بجميع أدلته، خرجت عن المقصود في هذا الكتاب، وأخذت في تفضيل العرب على الأمم، وهو يحتاج إلى جزء مميز وكتاب مفرد."[٥٢]

---

٥١ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٦٦، ٦٧.

٥٢ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٤٦.

ثم إنه شديد الحرص على ألا يجنح به القلم فينساق له هكذا تبعًا لمقتضيات الحديث بل يضبط صريره، ويكبح جماحه فيوجهه إلى مبتغاه، وذلك واضح في مواطن شتى من كتابه، يقول مثلًا:"ولهذه الجملة تفصيل طويل إذا ذكرناه عدلنا عن الغرض المقصود بهذا الكتاب، وشرعنا في صريح النحو ومحض علم الإعراب، ولذلك كتب موضوعة له ومقصورة عليه، تغني الناظر فيها عما نذكره في كتابنا هذا، ويجد ما يبتغيه هناك مستوفى مستقصىً."[٥٣]

ويقول في موضع آخر: "وتفصيل هذه الجملة يوجد في كتب النحو، ولا يليق بكتابنا هذا ذكره؛لأنه علم مفرد،وصناعة متميزة."[٥٤] وبعد أن تحدث ابن سنان عن القوافي قال: وقد صنف العلماء في باب القوافي كتبًا بينوا فيها ما تجب إعادته من الحروف والحركات وما لا تجب إعادته، ووضعوا لتلك الحروف والحركات أسماء لا حاجة بنا إلى ذكر شيء من ذلك لأنه هناك مستوفىً مستقصىً وليس مما نحن بسبيله."[٥٥]

وفي أول حديثه عن المعاني قال:"أما حصر المعاني بقوانين تستوعب أقسامها وفنونها على حسب ما ذكرناه في الألفاظ فعسير متعب لا يليق بهذا الكتاب تكلفه لأنه ثمرة علم المنطق،ونتيجة صناعة الكلام،ولسنا بذاهبين في هذا الكتاب إلى تلك الأغراض والمطالب."[٥٦]

١٢-مزج الحس الجمالي بالمقياس البلاغي بالحكم النقدي

١-موقف ابن سنان

لم يتناول ابن سنان البلاغة منفصلة عن ذوقه الأدبي وحسه الجمالي، ولم يدعْها أيضًا دون أن يشفعها بضابط من الحكم النقدي،بل مزج ذلك كله وصهره في بعضه حتى صارت روحًا سارية في تضاعيف الكتاب وفصوله، بل يكاد كل فصل يشهد بهذا المزيج العذب النمير من الذوق الفني،والفكر البلاغي، والحكم النقدي، والحس الرهيف لشاعر مكنته خبرته وتمرسه بالعمل الأدبي من إدراك مواطن الحسن والجمال

٥٣ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٠٢.
٥٤ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٠٤.
٥٥ ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة، ص ١٧٢.
٥٦ ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة، ص ٢٢٣.

أو القبح والضعف في النصوص، فتهيأت له ميزة فوقها وهي الإصابة في صياغة القواعد البلاغية والمقاييس الجمالية التي اعتملت واختلطت حتى انصهرت جميعها في بوتقة واحدة.

٢-العلاقة بين البلاغة و النقد

نظرة تاريخية على الصلة التي جمعت النقد و البلاغة ترينا أنهما عاشا مختلطين منذ القدم، ولم ينفصلا إلا بمشقة وصعوبة في نحو القرن الخامس الهجري حين أقام عبد القاهر الجرجاني أسس البلاغة واضحة ثابتة الدعائم، متميزة الصفات في كتابيه الخطيرين"دلائل الإعجاز"و"أسرار البلاغة."[٥٧]

فالعلاقة بين البلاغة والنقد قديمة، ولا يمكن وضع حد فاصل للتفريق بينهما،فما قامت البلاغة إلا على أساس النقد الذي يعنى بذكر مواطن الحسن أو القبح في الكلام "وإذا كان هدف النقد البحث عن الجمال ومحاولة إحصاء مظاهره والإشادة به وذكر القبيح في معرض التنديد به والتحذير منه، فإن البلاغة هي ثمرة هذا البحث ومجتمع مظاهر الجمال صيغت في فصول وأصول وقواعد."[٥٨]

وقد ذهب الدكتور محمد حسن عبدالله إلى أن منتصف القرن الثالث الهجري لم يكن هناك علم يسمى "البلاغة" وإنما كان هناك البلغاء والتعبير البليغ فحسب،وقد احتاج الأمر إلى نصف قرن تقريبًا ليوضع أول كتاب حوى مسائل بلاغية صريحة أو صارت جزءًا من علم البلاغة، وهو كتاب البديع لمؤلفه عبدالله بن المعتز (٢٤٧ه-٢٩٦ه) ولكن الطريف حقًّا أن كل من حاول أن يتصيد مسائل أو محاولات فردية مبكرة للبلاغة لم يجد إلا المسائل المشهودة لبواكير النقد الأدبي ابتداءً بخيمة النابغة المضروبة في عكاظ للحكم بين الشعراء وانتهاء بأثر القرآن في تنمية أحاسيس العرب بمعنى البلاغة وروعة الفصاحة."[٥٩]

ومن المعلوم أن البلاغة تضطلع بدور مهم في دراسة بعض الجوانب التي يحتاج النقد الأدبي إلى دراستها، كدراسة المفردات من حيث فصاحتها، ودراسة الجملة من حيث قوتُها وجمالها من خلال علمي المعاني والبديع، كما تضطلع بدراسة بعض ألوان

---

٥٧ محمد حسن عبدالله، مقدمة في النقد الأدبي، ص ٥١.

٥٨ بدوي طبانة، قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، ص ١٨.

٥٩ محمد حسن عبدالله، مقدمة في النقد الأدبي، ص ٦٤.

الخيال المفسر الشارح للفكرة في علم البيان، ومن ذلك يبدو أن علوم البلاغة تدرس بعض النواحي التي يعنى النقد الأدبي بدراستها،وقد تخصصت علوم البلاغة في هذه الناحية وبلغت فيها مبلغًا كبيرًا."[٦٠]

ونخلص مما سبق إلى أن طبيعة النقد الأدبي تقوم على النظر في مستويات التعبير الفني الجميل في شقيه النظري والتطبيقي باعتبارهما متمازجين متلازمين في ثنائية فريدة تجعل منهما شيئًا واحدًا،وأن الحال بقي هكذا حينا من الدهر حتى انفصلت البلاغة وغدت علمًا قائمًا بذاته، فاتجه النقد إلى ممارسة مهمته الأساسية وهي تحليل النص الأدبي وتطبيقه.

لكن الدعوة القائلة بضرورة امتزاجهما ترى "أن الذين ينحون في البلاغة بمعزل عن النقد إنما يعزلون أنفسهم عن العصر مهما ادعوا من دعاوى التجديد،وإنما هي آمال تقفهم عند نقطة البداية لم يضيفوا (إليها)شيئًا،والحل الممكن فيما نرى أن تعود البلاغة إلى وضعها وحجمها الذي بدأت منه واستمرت فيه ردحًا من الزمن،فهي جزء من النقد النظري."[٦١]

أما الأستاذ أحمد الشايب فقد فرق بين البلاغة والنقد من وجوه:

الأول: أن البلاغة إيجابية سابقة،فإنها تضع للأديب القوانين التي تساعده على التعبير وتأليف الكلام الواضح الجميل،ولكن النقد يفرض أن الكلام قد تم إنشاؤه ثم يتخذ من قوانينه ما يقدر بها هذا الكلام لبيان ما فيه من محاسن أو مساوئ،ولذا يأتي متأخر الوظيفة .

الثاني: أن البلاغة تُعنَى بالأسلوب أكثر فتفرض أن الأديب عنده مادة يريد أداءها مهما تكن قيمتها ثم ترسم له طرق الأداء شعرًا ونثرًا،خطابةً أو قصاصًا أو تقريرًا أو تمثيلًا، أما النقد فيعنَى بالأسلوب والمادة جميعًا ويتناولهما بالتقرير على حد سواء، وإن كانت مقاييسه –عامة– قليلةً.

الثالث: أن الأصل في البلاغة أنها مرتبطة بالقراء والسامعين،والبليغ ملتزم بملاحظة حاجتهم الثقافية ومستواهم في الفهم،وما يحيط بهم من مؤثرات ثم يؤلف كلامه مطابقًا

---

٦٠ أحمد أحمد بدوي، النقد الأدبي، (١١٢/٢).

٦١ محمد حسن عبدالله، مقدمة في النقد الأدبي، ص ٥٩.

لهذه الأحوال، والأصل في الأدب الاتصال بالأديب نفسه وتقرير مواهبه وآرائه في صدق ووضوح."[٦٢]

٣- المقاييس النقدية التي وضعها ابن سنان تحقيقًا للمزج

أ-الذوق مقياس للنظر في النصوص الأدبية وتقويمها

يضيف الدكتور بدوي طبانة إلى الوجوه التي ذكرها الأستاذ الشايب -آنفا-وجهًا رابعًا وهو اعتماد النقد أكثر ما يعتمد على الذوق وما يثيره الأثر الأدبي في نفس القارئ أو السامع من أحاسيس وانفعالات."[٦٣] فأين ابن سنان من هذا ؟

لقد ركز ابن سنان على الذوق الفني ودعا إلى اتخاذه مقياسًا،وأكد أن العمل الأدبي لابد له من عنصر الذوق وإلا سرى إليه الضعف والفتور،ذلك أن معرفة الأصول والقواعد وحدها لا تتيح للشاعر قدرة على الإجادة ولا تمكنه من الإبداع،فقال: "ويحتاج الشاعر خاصة إلى معرفة الخمسة عشر بحرًا التي ذكرها الخليل بن أحمد،[٦٤] وما يجوز فيها من الزحاف ولست أوجب عليه المعرفة بها لينظم بعمله، فإن النظم مبني على الذوق، ولو نظم بتقطيع الأفاعيل جاء شعره متكلفًا غير مرضيٍّ."[٦٥]

والوجه الرابع الذي أضافه الدكتور بدوي هو حقيقة ما فعله ابن سنان، وقد شهد الدكتور طبانة لابن سنان بأنه أدخل الذوق مقياسًا في تقويم النصوص، وبه انماز عن غيره من علماء البلاغة المتأخرين أمثال السكاكي والقزويني وغيرهما، يقول:

"يفضل كل أولئك بأنه لم يسلك في دراسته البيان ذلك المنهج القاعدي الجاف الذي ينفر من البلاغة، وإنما سار الخفاجي بالبلاغة والنقد الأدبي سيرًا مزدوجًا فيه التحديد والتعريف وإلى جانبه النص والمثال وإلى جانبه الرأي السديد في الحكم بالإصابة أو سوء الاستعمال."[٦٦]

---

٦٢ أصول النقد الأدبي، ص ٥٣.

٦٣ بدوي طبانة، أبوهلال العسكري ومقاييسه البلاغية، ص ١٧.

٦٤ الخليل بن أحمد الفراهيدي،أبوعبد الرحمن، من أئمة اللغة والأدب،واضع علم العروض،أستاذ سيبويه النحوي، ولد في البصرة سنة١٠٠هـ، وبها توفي سنة ١٧٠ هـ، ومن كتبه:معجم العين.

٦٥ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢٧٨.

٦٦ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٩٠.

لقد استطاع ابن سنان أن يجعل من الذوق قاعدة انطلاق يؤسس من خلالها قواعد البلاغة فيحتكم الأديب أولًا إلى ذائقته الأدبية وحسه الفني فيما يذهب إليه،يقول:"والشاهد على ما ذكرناه الحس، فإن الكلفة في تأليف المتجاور ظاهرة يجدها الإنسان في نفسه حال التلفظ."[٦٧] ويقول أيضًا: "والذوق يشهد بما قالوه ويقضي بصحته."[٦٨]

وقوله أيضًا: "والوزن هو التأليف الذي يشهد الذوق بصحته أو العروض، أما الذوق فلأمر يرجع إلى الحس، وأما العروض فإنه قد حصر فيه جميع ما عملت العرب عليه من الأوزان، فمتى عمل الشاعر شيئًا لا يشهد بصحته الذوق، وكانت العرب قد عملت مثله جاز له ذلك، كما ساغ له أن يتكلم بلغتهم، فأما إذا خرج عن الحس وأوزان العرب فليس بصحيح ولا جائز؛ لأنه لا يرجع إلى أمر يسوغه، والذوق مقدم على العروض، فكل ما صح فيه لم يلتفت إلى العروض في جوازه."[٦٩]

هكذا يمضي ابن سنان يحلل النصوص ويكشف لنا مقاييس الصحة والجمال فيها، وما يعتري الكلمة من قبح وفساد من خلال تحليلاته، ومع ذلك فقد أدرك أن هناك حسنًا لا يدركه الذوق، وأن بيان وجه الحسن والجمال من الصعوبة إدراكه في بعض مواطن النص الأدبي، فقال: "وقد يكون هذا التأليف المختار في اللفظة على جهة الاشتقاق فيحسن أيضًا، كل ذلك لما قدمته من وقوعه على صفة يسبق العلم بقبحها أو حسنها من غير المعرفة بعلتها أو بسببها."[٧٠]

هكذا أدرك ابن سنان دور الذوق وخطورته، وأهمية الإحساس بالجمال لما لذلك من أثر ينعكس على تقرير القواعد البلاغية أو تسويغها أو تدعيمها، يقول: "وعلة هذا واضحة وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، ولاشك في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه من الصفرة لقُرْبِ ما بينه وبين الأصفر، وبُعْدِ ما بينه وبين الأسود، وإذا كان هذا موجودًا على هذه الصفة لا يحسن

---

٦٧ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٥٢.

٦٨ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٨٥.

٦٩ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢٧٦.

٧٠ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٥٩.

النزاع فيه، كانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة في العلة في حسن النقوش إذا مزجت من الألوان المتباعدة، وقد قال الشاعر في هذا المعنى:

فالوجْهُ مثلُ الصبحِ مُبْيَضُّ والفَرعُ مِثْلُ اللَّيلِ مُسْوَدُّ
ضِدانِ لما اسْتُجْمِعا حَسُنَا والضدُّ يُظهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ

وهذه العلة تقع للمتأمل وغير المتأمل فهمها."[٧١]

ب-مقياس الطبع

من أبرز مظاهر الربط بين البلاغة والنقد في منهج ابن سنان أنه جعل من مقياس الطبع قاعدة للتفرقة بين السجع والفواصل وبيان متى يكونان محمودين أو مذمومين، فقال: "إن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول على ما ذكرناه، والفواصل على ضربين: ضرب يكون سجعًا؛وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضرب لا يكون سجعًا؛ وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين- أعني المتماثل والمتقارب- من أن يكون يأتي طوعًا سهلًا وتابعًا للمعاني، وبالضد من ذلك، حتى يكون متكلفًا يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض."[٧٢]

ج-قاعدة التوسط والاعتدال في استعمال الألوان البديعية

قرر ابن سنان في التوسط والاعتدال أنه "إن قال لنا قائل كيف يكون التصريع وغيره من الأصناف التي أشرتم إليها حسنًا إذا قل وإن كثر لم يكن حسنًا؟ قيل له: هذا غير مستنكر ولا مستطرف، وله أشباه كثيرة ،فإن الخال يحسن في بعض الوجوه، ولو كان في ذلك الوجه عدة خيلان لكان قبيحًا، ويكون في بعض النقوش يسير من سواد وحمرة أو غيرهما من الألوان فيحسن ذلك المزاج والنقش بذلك القدر من اللون فإن زاد لم يكن حسنًا."[٧٣]

---

٧١ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٥٨.

٧٢ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٦٦.

٧٣ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٨١.

وهو في ذات الوقت عدَّ الإكثار من فن واحد من فنون البلاغة والإطالة فيه من أبرز مظاهر التكلف والتصنع، فاعتمد مقياس الاعتدال في تقويم كثير من الفنون البلاغية التي عرض لها،من ذلك ما قال في معرض حديثه عن الترصيع:" وقال أبوالعلاء أحمد بن عبدالله:

أَلِفْتِ المَلا حتى تعَلَّمْتِ بالفَلا رنُوَّ الطلَى أو صنعةَ الآلِ في الخَدْعِ

فهذا وأمثاله إذا كان قدرًا يسيرًا حسن على ما ذكرناه،فإما إذا توالى وكثر فإنه يقبح؛ لدلالته على التكلف وإن كان كل منه بانفراده جيدًا."[٧٤]

وفي وصيته للأديب والشاعر يقول: "والوصية لهما ترك التكليف، والاسترسال مع الطبع، وفرط التحرز وسوء الظن بالنفس، ومشاورة أهل المعرفة، وبغض الإكثار والإطالة، وتجنب الإسهاب في فن واحد من فنون الصناعة، فإن كلام الإنسان ترجمان عقله، ومعيار فهمه، وعنوان حسه، والدليل على كل أمر لولاه لخفي منه، وبحسب ذلك يحتاج إلى فضل التثقيف، واجتماع اللب عند النظم والتأليف."[٧٥]

وواضح أن ابن سنان يقصد باللب الاستعداد الفطري والملكة الفنية التي تؤهل الأديب وتمكنه من صنعته، وأن حضور اللب عند التأليف واجتماع القلب والعقل لحظة الإبداع لمن أدل الأمور على قوة العمل وقيمته وإلا صار ضعيفًا هزيلا لا يسمن ولا يغني.

ومن البديهي أن الذوق ملكة فطرية، وهبة طبيعية،تولد مع الإنسان فيعبر عنها "بصفاء الذهن، وخصب القريحة، وجمال الاستعداد. وبعد ذلك يأتي التهذيب والتعليم، فليس من شك أن الدرس ينمي الذوق، ويهذبه ويسمو به إلى درجة محمودة، فالأديب ذو الفطرة والذوق يفيد من قراءة الأدب ومعالجة الفنون فنراه بعد قليل مصقول الذوق، ثاقب الذهن،يضع يده على العبارة البليغة، والخيال الجميل، ويدرك صدق العاطفة."[٧٦]

وقد نبه ابن سنان إلى ضرورة تدريب الذوق وصقله بكثرة مخالطة فنون الأدب وميادينه مع طول الخبرة فقال: "من له بها –أي البلاغة–معرفة وسابق علم إنما حصل

---

[٧٤] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٨٣. الملا: المتسع من الأرض، والرنو: إدامة النظر. والطلي: ولد الظبية .الآل: السراب، ويضرب به المثل؛ لأنه يخدع النظر.

[٧٥] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢٧٩.

[٧٦] أصول النقد الأدبي، ص ١٢١.

له ذلك بالمخالطة والمناشدة، وتأمل الأشعار الكثيرة، والكلام المؤلف، على طول الوقت وتراخي الأزمنة، وليس يمكنه أن يحضر لمن أراد تعليمه كل بيت سمعه، وفصل تأمله، ولفظة كرهها،ومعنى حكم بفساده أو بصحته لأن هذا يحتاج إلى الزمان الطويل والأيام الكثيرة."[٧٧]

وكل ما سقناه في هذا المزيج المتعلق بالحس الجمالي والمقياس البلاغي والحكم النقدي يؤكد أن ابن سنان سار على منهج فني فريد، وأنه اتخذ من القيم الجمالية الكامنة في النص الأدبي طريقًا لإبرازها ودراستها وتحليلها في ضوء ما تقرر من المعايير والقواعد والأصول التي استند فيها إلى ذوقه الفني، لكن الدكتور محمد زغلول سلام يفجؤنا بتنكره لهذه الحقيقة التي رسخها ابن سنان بل وتجريده منها، فقال:

"نرى أن ابن سنان عالم يحكم عقله،وليس ناقدًا يحكم ذوقه وخبرته بالنصوص وتلمسه لأسرار الجمال فيها!"[٧٨] والحق أن هذا فيه غبن وإجحاف لابن سنان، وضياع لما أجهد نفسه فيه، وقول الدكتور سلام يخالفه فيه كثير من الباحثين والدارسين.[٧٩] ولسوف نسوق من الأدلة في السطور القادمة ما يقطع ببطلان هذا القول ويجزم بعدم صحته. وقد أحسن منصور عبد الرحمن حين قال:إن لابن سنان الخفاجي مدرسة خاصة في النقد لها معالمها المميزة وتأثيرها الواضح، وهي مدرسة تضع للذوق المدرب والحي المميز المكانة الأولى في النقد."[٨٠]

٤-من أبرز الأدلة على امتزاج الحس الجمالي بالمقياس البلاغي بالحكم النقدي عند ابن سنان ما يأتي

أولًا:وضوح المعنى أو غموضه :

تحدثنا عن الوضوح آنفًا لكنه كان حديثًا عن لغة ابن سنان وأسلوبه في كتابه مع إشارة يسيرة لمعنى الوضوح الذي أراده في البلاغة، وهنا نبسط القول،فقد عده شرطًا من شروط فصاحة الكلام وبلاغته فقال: "ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى

---

٧٧ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٩١.

٧٨ محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي من القرن الخامس الهجري إلى القرن العاشر الهجري، ص ٢٦٣.

٧٩ بدوي طبانة، البيان العرب، ص ١١٤ ، أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ص ٩٨.

٨٠ منصور عبدالرحمن ,أثر اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس، ص ٤٥٥.

الكلام واضحًا ظاهرًا جليًّا لا يحتاج إلى فكر في استخراجه وتأمل لفهمه،وسواء كان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظومًا أو منثورًا."[٨١]

وما قيمة الكلام حينما يغمض فلا يؤدي معنى ولا يحقق غرضًا؟ لذا فقد ظل هاجس الوضوح مسيطرًا على فكر ابن سنان البلاغي والنقدي، ورأى إعمال الوضوح في التشبيه والاستعارة والإيجاز، وفي المقابل ذم الكلام المقلوب والمصروف عن وجهه، والمعاظلة واستعمال الألفاظ الوحشية الغريبة لما يؤدي ذلك إلى خفاء المعنى وغموضه. يقول الدكتور بدوي طبانة:

"ومن أهم غايات الفن الأدبي محاولة التأثير بالتجارب التي يعانيها الأدباء ويعبرون عنها بطريقتهم الخاصة أو بأسلوبهم الذي تجتمع له خصائص التعبير الفني بجودة المضمون،وروعة الأداء باللغة الممتازة وبالتصوير الذي يوضح المعاني ويبرزها في إطار جديد..ولا شك في أن ذلك التأثير المنشود يتطلب جودة الرؤية وتمام الوضوح الذي ينشأ عنه الإدراك ومعرفة ما اشتمل عليه العمل الأدبي من المعاني السامية والأخيلة البديعة."[٨٢]

وكثيرًا ما ذكره ابن سنان في كتابه تأكيدًا منه على أهميته في وضوح الأسلوب وبيانه فقال: "وجرى بين أصحابنا في بعض الأيام ذكر شيخنا أبي العلاء بن سليمان، فوصفه واصف من الجماعة بالفصاحة،واستدل على ذلك بأن كلامه غير مفهوم لكثير من الأدباء،فعجبنا من دليله، وإن كنا لم نخالفه في المذهب، وقلت له: إن كانت الفصاحة عندك بالألفاظ التي يتعذر فهمها فقد عدلت عن الأصل المقصود أولًا بالفصاحة التي هي البيان والظهور، ووجب عندك أن يكون الأخرس أفصح من المتكلم؛ لأن الفهم من إشارته بعيد عسير،وأنت تقول: كلما كان أغمض وأخفى كان أبلغ وأفصح، وعارضه أبوالعلاء صاعد بن عيسى الكاتب، وقال:صدقت إننا لا نفهم عنه كثيرًا مما يقول إلا أنه على قياس قولك يجب أن يكون (ميمون الزنجي) الذي نعرفه أفصح من أبي العلاء؛ لأنه يقول ما لا نفهمه نحن ولا أبو العلاء أيضًا ! فأمسك."[٨٣]

وبالنظر إلى أقوال معاصره عبدالقاهر الجرجاني فإننا نراه يميل إلى الغموض الفني فيقول: "ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له،أو الاشتياق إليه،

---

٨١ ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة، ص ٢١١.

٨٢ بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، ص ١٤٠.

٨٣ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٦٥.

ومعناه الحنين إليه، كان نيله أحلى، وبالميزة أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف، وكانت أضن وأشغف."[٨٤]

ولاشك في أن هناك فارقًا بين الغموض الفني الذي يستحسنه الجرجاني ويدعو إليه، وبين التعمية والتعقيد الذي يبهم المعنى ويجعله أقرب إلى الطلاسم، وقد أنكر الجرجاني هذا الأخير وعلل قبحه بقوله: "وإنما ذُمَّ هذا الجنس لأنه أحوجك إلى فكر زائد على المقدار الذي يجب في مثله، وكدَّكَ بسوء الدلالة، وأودع المعنى لك في قالب غير مستو ولا مملس، بل خشن مضرَّس، حتى إذا رمتَ إخراجه منه، عسر عليك، وإذا خرج خرج مشوه الصورة ناقص الحسن"[٨٥].

وليس يقصد بالوضوح السطحية والابتذال إلى الدرجة التي "تجعل الكلام في متناول جميع الناس من حيث القدرة عليه، ومن حيث القدرة على الاستماع إليه، وإدراك ما فيه؛ لأن ذلك يجعل الكلام أبعد شيء عن الصفة الأدبية التي يوصف بها، والفنية التي تميزه من غيره من صنوف التعبير."[٨٦]

لقد دعا ابن سنان دعوة صريحة إلى الوضوح والبيان، وفي المقابل عد الخفاء والستر اللطيف الذي تستدعيه العفة والذوق الشريف أصلًا من أصول البلاغة فقال:

"ومن هذا الجنس حسن الكناية عما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح وذلك أصل من أصول الفصاحة وشرط من شروط البلاغة"[٨٧]

وقد أنكر ابن سنان استعمال أسلوب الكناية الذي لا يؤدي إلى الغاية منه،من الستر الجميل،والترفع عن العبارات المبتذلة القبيحة، فقال: فأما قول أبي الطيب:

إني على شَغفِي بما في خُمْرِها لَأعِفُّ عمَّا في سَراويلاتِها[٨٨]

---

٨٤ عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ١١٨.

٨٥ عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ١٢٠.

٨٦ بدوي طبانة، علم البيان، ص ٢٢٧.

٨٧ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٥٧.

٨٨ المتنبي، ديوان المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري ضبطه و صححه مصطفى الصقا و رفيقيه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥ /١٩٣٦ (١/٢٣٠). الشغف: بلوغ الحب شغاف القلب وهو غطاؤه. الخمر: ما تغطي به المرأة رأسها. السرابيلات: القمصان، وفي ديوانه السرابيلات. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة:ص١٥٩.

فلا شيء أقبح من ذكر السراويلات، وما أعرف كناية –أُشهِد الله–أن التصريح أجمل منها، ووصفَ عفةَ سلوكٍ الرِّيَبُ والتهمُ أحسن من التلفظ بها إلا كناية أبي الطيب هذه،ونعته عفافه هذا النعت."[٨٩]

ونفهم مما سبق أن غموض المعنى-على هذا النحو- عند ابن سنان يخل بالفصاحة،وقد ذكر أسبابًا ستة يغمض من أجلها الكلام على السامع، كالغرابة والوحشية وهما يعودان إلى اللفظ، أو أن تكون الكلمة من الألفاظ المشتركة، وذكر اثنين في تأليف الألفاظ، وهما: فرط الإيجاز، وإغلاق النظم، واثنين من المعاني،وهما: أن يكون في نفسه دقيقًا، وأن يحتاج في فهمه إلى مقدمات إذا تُصُوِّرَت بني ذلك المعنى عليها، فإذا لم تكن المقدمات حصلت للمخاطب فلا يقع له فهم المعنى.[٩٠]

ثانيًا: المواءمة بين الألفاظ والمعاني

هذا هو المظهر الثاني من مظاهر المزيج الذي صنعه الخفاجي بين الحس الجمالي والمقياس البلاغي والحكم النقدي، وبه يثير نقاشًا طال قديمًا وامتد حديثًا للعلاقة بين اللفظ والمعنى، فيؤكد الخفاجي ضرورة ارتباطهما والتحامهما، فلا يقوم المعنى دون اللفظ ولا اللفظ دون المعنى، وأنه يجب أن تؤدي الألفاظ خدمة بيان المعنى وتوضيحه. وقد خالف ابن سنان أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي وغلَّطه حين زعم أن "الحسَنَ من الشعر ما أعطاك معناه بعد مُطاوعة ومماطلة، والحسَنَ من النثر ما سبق معناه لفظه"[٩١] وبهذا فرق بين النظم والنثر في الحكم،لكن ابن سنان يرى أن الكلام كله شعرًا ونثرًا لا فرق بينهما ويجب أن يكون "واضحًا ظاهرًا جليًّا لا يحتاج إلى فكر في استخراجه وتأملٍ في فهمه"[٩٢]

ويبين ابن سنان صحة ما ذهب إليه فيقول: "إن الكلام غير مقصود في نفسه، وإنما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم،ويفهِموا المعاني التي في نفوسهم، فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعاني ولا موضحة لها فقد رفض الغرض في أصل الكلام، وكان ذلك بمنزلة من يضع سيفًا للقطع ويجعل حده كليلًا، ويعمل وعاءً لما يريد أن

---

٨٩ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٦٨.

٩٠ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢١٣.

٩١ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢١٣.

٩٢ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢١٣.

يحرزه، فيقصد إلى أن يجعل فيه خروقًا تُذهب ما يوعى فيه،فإن هذا مما لا يعتمده عاقل،ثم لا يخلو أن يكون المعبّرُ عن غرضه بالكلام يريد إفهام ذلك المعنى أو لا يريد إفهامه، فإن كان يريد إفهامه فيجب أن يجتهد في بلوغ هذا الغرض بإيضاح اللفظ ما أمكنه، وإن كان لا يريد إفهامه فليدع العبارة عنه فهو أبلغ في غرضه."[٩٣]

وإذا كانت الناحية الفنية تُقصَد وتُتَوخَّى في ألفاظ النص فلا ينبغي لها أن تظهر كأنها قصدت لذاتها، يقول: إن السجع محمود إذا وقع سهلًا متيسرًا بلا كلفة ولا مشقة، وبحيث يظهر أنه لم يُقصَد في نفسه، ولا أحضره إلا صدقُ معناه دون موافقة لفظه، ولا يكون الكلام الذي قبله إنما يُتَخَيَّلُ لأجله، وورد ليصير وصْلَةً إليه."[٩٤]

ونجد عند عبدالقاهر الجرجاني صدى لهذه الفكرة ودعمًا لها حين قال: "فإنك لا تجد تجنيسًا مقبولًا ولا سجعًا حسنًا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه حتى تجده لا يبغي به بدلًا، ولا تجد عنه حِوَلًا، ومن هنا كان أحسن تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن واولاه، ما وقع من غير قصد المتكلم إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه"[٩٥].

ويؤكد ابن سنان كلامه بما حكاه الجاحظ في البيان والتبيين بوصية بشر بن المعتمر[٩٦] في البلاغة التي يقول فيها: "إذا لم تجد اللفظة واقعةً موقعها،ولا صائرة إلى مستقرها، ولا حالة في مركزها،فلا تكرهها على القرار في غير موطنها،فإنك إذا لم تتعاط قريض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور،لم يعبك بترك ذلك أحد، وأنت إذا تكلفتهما ولم تكن حاذقًا فيهما،عابك من أنت أقل عيبًا منه، وأزرى عليك من أنت فوقه"[٩٧] وقد عقب ابن سنان على تلك الوصية بقوله: "وهذا كلام صحيح يجب أن يقتدى به في هذه الصناعة."[٩٨]

---

[٩٣] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢١١.

[٩٤] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٦٥.

[٩٥] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٧٠.

[٩٥] بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي، أبوسهل، فقيه معتزلي، من أهل الكوفة، تنسب إليه الطائفة "البِشْرية"،له مصنفات في الاعتزال منها قصيدة في أربعين ألف بيت رد فيها على جميع المخالفين، مات ببغداد سنة٢١٠هـ، الجاحظ، البيان والتبيين: ١/١٣٥ وما بعدها .

[٩٧] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٦٥.

[٩٨] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٦٥.

ومن مظاهر المواءمة بين الألفاظ والمعاني عند ابن سنان أيضًا ألا يعبَّرَ عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم، ولا في الذم بالألفاظ المعروفة للمدح، بل يستعمل في جميع الأغراض الألفاظ اللائقة بذلك الغرض، في موضع الجد ألفاظه، وفي موضع الهزل ألفاظه، ومثال ما استعمل من هذه الألفاظ في غير موضعه قول أبي تمام:

ما زال يهذي بالمكارمِ دائبًا حتى ظننَّا أنه محْمومُ

وقوله:

وتُثقَّى الحربُ منه حينَ تَغْلي مراجلُها بشيطانٍ رجيمِ

وقوله:

ولَّى ولم يظلمْ وهل ظلمَ امرؤٌ حثَّ النَّجاءَ وخلفَهُ التِّنِّينُ

وقوله:

يا أبا جعفرٍ جُعِلْتُ فِداكا فاقَ حُسْنَ الوجوه حُسْنَ قفاكَا

لأن يهذي والمحموم والشيطان الرجيم، والتنين، والحمق، والجنون، وذكر القفا، من الألفاظ التي تستعمل في الذم، وليست من ألفاظ المدح"[٩٩]

ويذهب ابن سنان إلى أنه إذا اختلت معادلة المناسبة بين الكلمتين من ناحية التقارب أو من ناحية التضاد فإن ذلك يكون قبيحًا،ومنه ما أنكره نُصَيْب على الكُمَيْت في قوله:

أم هل ظعائنُ بالعلياءِ رافعة وإن تكامل فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ

فإنه قال له: أين الدل من الشنب؟ إنما يكون الدل مع الغنج ونحوه، والشنب مع اللعس أو ما جرى مجراه من أوصاف الثغر والفم، فكان الدل والشنب في قول الكميت عيبًا؛ لأنهما لفظتان لا يتناسبان بتقارب معنييهما ولا بتضادهما."[١٠٠]

وقد نوه عبد القاهر الجرجاني إلى ضرورة الملاءمة بين معنى اللفظة ومعاني جاراتها،فقال: "وهل تجد أحدًا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه قلقة نابية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما وبالغلق والنبو عن سوء التلاؤم، وأن

[٩٩] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٥٥.

[١٠٠] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٩٢.

الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقًا للتالية في مؤداها."[١٠١]

كما قرر ابن سنان أن تحقق المناسبة بين اللفظتين عن طريق الصيغة له تأثير كبير في الفصاحة،وأن الشعراء الحذاق والكتاب يعتمدونها،فيقول: ومثال ذلك ما رواه أبو الفتح عثمان بن جني قال: قرأت على أبي الطيب قوله:

وقد صارت الأجفانُ قُرْحًا من البكا وصار بهارًا في الخدود الشقائقُ

فقلت:قرحى،فقال:إنما قلت:قرحًا؛لأني قلت: بهارًا"[١٠٢]

يقول الدكتور منصور عبدالرحمن: "ولا شك أن التناسب بين اللفظين في الصيغة له أثر في التأثير النفسي إذا حسن استعماله ولم يعمد إليه الأديب عمدًا يخل بالمعنى الذي يجب مراعاته قبل هذا الرنين الصوتي."[١٠٣]

وعالج ابن سنان المناسبة بين المعاني فذكر أنه ينبغي لصحة المقابلة أن يضع مؤلف الكلام معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة،فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، والأصل في هذه المناسبة فإن لها تأثيرًا قويًّا في الحُسْن."[١٠٤]

نقد الدارسين لمنهج ابن سنان في كتابه سر الفصاحة

- أخذ ضياء الدين ابن الأثير على منهج كتاب سر الفصاحة " ازدحامه بما قل به مقداره من ذكر الأصوات والحروف والكلام على اللفظة المفردة وصفاتها مما لا حاجة إلى أكثره."[١٠٥]

ويرى الباحث أن ذلك قد يبدو مقبولًا من الوهلة الأولى عند قراءة الفصول المتقدمة في الكتاب، لكن حينما يجِدُّ المرء ويمضي في دراسته وتفحص مباحثه تتغير نظرته، ويجد أن ابن سنان كان محقًّا، إذ أدرك بثاقب نظره أن ثمة صلة بين بحوث الصوت والحرف والكلمة من جانب وبحث الفصاحة الذي هو موضوع كتابه من

---

[١٠١] عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٦.

[١٠٢] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٦٣.

[١٠٣] منصور عبدالرحمن، أثر اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس، ص ١٩٨.

[١٠٤] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢٥٤, ٢٥٥ .

[١٠٥] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، (٣٦/١).

جانب آخر،وأنه لايمكن الحديث عن الفصاحة بمعزل عن دراسة الأصوات والحروف والكلمات، لذا أخذ على عاتقه مسؤولية تفصيل ذلك وبيانه من الجذور والمراحل الأولى، لمعرفة ما يستحسن وما يستقبح من الأصوات، وما يلائم وما يخالف من الحروف، وما يدخل في مكونات الكلمة التي يبحث في مقومات فصاحتها وما لا يدخل.

وهذا ما أكده الدكتور عبده قلقيلة حين قال "إن تلك الأبحاث الصوتية لا تخاصم البلاغة ولا تجافي النقد الأدبي بل لعلها أن تكون من الجذور غير المرئية فيه"[١٠٦]

ولا يوافق الدكتور بدوي طبانة ابن الأثير فيما ذهب إليه، ويرى أنه لا عبرة بنقده؛ لأن الخفاجي في كلامه على الأصوات والحروف ذكر منها ما يؤلف وما لا يؤلف، ولذلك من بعد الأثر في وقع الكلام على السمع والذوق،وتقديره عند أهل صناعة البيان ما لا يخفى."[١٠٧] ويقول أيضًا: "ولكل ذلك أثره في الإبانة والإفصاح؛ لأن الكلمات هي لبنات النص الأدبي، وما لم تكن هذه اللبنات سليمة في تكوينها جيدة في مادتها،فإن بناء النص لابد سيكون ضعيفًا سريع الانهيار."[١٠٨]

ويذهب الأستاذ أحمد الشايب إلى أن هذه "المباحث التي أطال ابن سنان الكلام عليها في صدر كتابه تدخل في صلب مادة البلاغة وتشكل موضوعاتها الأساسية، إذ يدعو في منهجها الفريد إلى أن تعالج البلاغة درسًا مفصلًا دقيقًا يعتمد على علوم الصوت والنفس والموسيقى وما إليها مما يُقوِّم الأسلوب على أنه صورة أدبية"[١٠٩]

وبما أن هذه البحوث الصوتية تدرس ركنًا بالغ الأهمية في الفصاحة والبيان صوتًا ونطقًا وصحة مخارج،فقد أولاها ابن سنان عناية كبيرة، وبدأ بها بحثه القيم في الفصاحة والبلاغة، وكيف لا يكون ذلك وقد تتلمذ على كتب الجاحظ ونهل من البيان والتبيين الذي يقول: "ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام أبو حذيفة واصل بن عطاء فأسقط الراء من كلامه وأخرجها من حروف منطقه."[١١٠]

---

[١٠٦] عبده قلقيلة، القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص ٤١٦.

[١٠٧] بدوي طبانة، البيان العربي، ص ١٩٣.

[١٠٨] بدوي طبانة، البيان العربي، ص ٢١٦.

[١٠٩] الأستاذ أحمد الشائب، الأسلوب، ص ٣.

[١١٠] الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٥/١).

وهذا يشير إلى أن دراسة حسن اللفظة من حيث جرسها الصوتي، ودلالتها اللغوية، وأداؤها للمعنى وغير ذلك لهو متعلق بدراسة البلاغة، وقد اهتم بها البلاغيون العرب ووضعوا أسسها،وفي العصر الحديث أولاها الغربيون عناية كبيرة في بحوثهم اللغوية التطبيقية، وأفاد منها المعاصرون.

لقد بين ابن سنان أثر هذه الأبحاث الصوتية حين ذهب إلى أن هناك حروفًا يحسن استعمالها في الفصيح من الكلام وبعضها لا يحسن، فالتي تحسن عنده ستة حروف وهي النون الخفيفة التي تخرج من الخيشوم، والهمزة المخففة،وألف الإمالة، وألف التفخيم، وهي التي بها ينحى نحو الواو كقولهم في الزكاة الزكاوة، والصاد التي كالزاي نحو قولهم في مصدر-مزدر-والشين التي كالجيم نحو قولهم في أشدق أجدق.

وأما الحروف التي لا تستحسن فثمانية:وهي الكاف التي بين الجيم والكاف،نحو: كلهم ندك،والجيم التي كالكاف نحو قولهم للرجل:ركل، والجيم التي كالشين،نحو قولهم: خرشت.والطاء التي كالتاء،كقولهم: طلب، والضاد الضعيفة، كقولهم في أثرد: أضرد، والصاد التي كالسين في قولهم:صدق. والظاء التي كالثاء،كقولهم: ظلم، والفاء التي كالباء، كقولهم: فرند"[١١١]

وقد أفاد ابن الأثير إفادة كبيرة مما خطه ابن سنان في البحوث الصوتية وانتفع بها واعتمد عليها، إلا أن "النزعة الفخرية" التي اكتظت بها شخصية ابن الأثير أوحت إليه أن يهون من شأن الكتاب ويقلل من قيمته بعدما الإطراء والثناء،فقال: "وما من تاليف إلا وقد تصفحت شينه وسينه، وعلمت غثه وسمينه،فلم أجد ما ينتفع به في ذلك إلا كتاب الموازنة لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، وكتاب سر الفصاحة لأبي محمد عبدالله بن سنان الخفاجي."[١١٢]

- يرى الأستاذ عبدالمتعال الصعيدي-محقق كتاب سر الفصاحة-أن في منهج الكتاب "عيبًا كبيرًا في الأساس الذي قام عليه، وخللًا ظاهرًا في ترتيب أبوابه، وخلطًا ملموسًا في توزيع موضوعاته على الأبواب،فقد ذكر أن كلامه على المقصود وهو الفصاحة "لا يتميز عن البلاغة إلا في موضوع الفرق بينهما وهو الكلام على المعاني مفردة، فجعل المقصود منه هو الكلام على الفصاحة في الكلمة المفردة، والكلام عليها في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض، وهذا خلاف ما تقرر أخيرًا في علوم البلاغة،

[١١١] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٢٥، ٢٦.

[١١٢] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، ص ٣٥.

فقد ذكر الخطيب القزويني في حصر هذه العلوم أن البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد،وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره.."[١١٣]

والحق أن رأي الأستاذ الصعيدي فيه قدر من التعسف ومجانبة للموضوعية على الرغم من أنه حالفه الصواب في جانب وخالفه في آخر، وذلك أنه طالب ابن سنان الالتزام بمنهج تأليفي محدد (وهذا حق) لكنه تناسى أن ابن سنان كان عصره تستهل فيه أصول البلاغة، فالعلم لما يزل في بداياته، وطور بنيانه،تؤصل أصوله، وتقعد قواعده،فمن الإجحاف أن يقيسه بالسكاكي والخطيب القزويني الذين أتيا بعده بعدة قرون وقد حددت المعالم، ورسمت الخطوط، وصيغت المناهج وتحددت الرؤى، وليس من الإنصاف أن يطبق على الكتاب مناهج البلاغيين الذين أتوا بعد ابن سنان. ولكن نظرة أخرى لكلامه تفيد أن " الكتاب ذو قيمة علمية ومنهجية، فلقد سبق ابن سنان عصر الشروح والتلخيصات، وكان ذا ذوق وحس مرهف، وكانت له طريقته ومنهجه في التأليف، وليس من الإنصاف أن نطالبه بما لم يكن في عصره."[١١٤]

-ويعيب الأستاذ الصعيدي على منهج الكتاب أيضًا فيما ارتكبه صاحبه "من أخطاء في توزيع موضوعاته على الأقسام الثلاثة التي رتب كتابه عليها فتراه يتكلم مثلًا في القسم الثاني على الاستعارة فيلحقها بالكلام على الفصاحة، ويتكلم في القسم الثالث على التشبيه فيلحقه بالكلام على البلاغة، مع أنهما من ماء واحد في هذه العلوم، وكلاهما يبحث في علم البيان"[١١٥]

والحق أن موضوعات علم البيان تقررت فيما بعد ابن سنان، ومعلوم أن السكاكي- وهو إمام المتأخرين في علم البلاغة-قد أخرج فن التشبيه عن اختصاصات علم البيان؛ لأن دلالته-في نظره-وضعية، ثم اضطر بعد ذلك إلى إدخال التشبيه في علم البيان؛ لأن الاستعارة مبنية عليه.

-يعزو الأستاذ كامل الفقي عدم التنسيق والتبويب في منهج الكتاب إلى أن صاحبه كان مشغولًا بالسياسة، يقول: فقد كان واليًا، وللولاية من صاحبها شغل، ولها عليه حقوق، وله من شؤونها هم وتفكير."[١١٦]

---

[١١٣] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: مقدمة المحقق عبد المتعال الصعيدي (ز)

[١١٤] أحمد مطلوب، القزويني وشروح التلخيص، ص ٥٦.

[١١٥] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، مقدمة المحقق (ز-ج)

[١١٦] الدوريات، مجلة الأزهر، مقالات الأستاذ كامل الفقي،القاهرة، ١٣٦٤هـ، (٤٥٣/١٦).

وهذا النقد في سوء التنسيق والتبويب في محله، ونوافق الأستاذ الفقي فيما ذهب إليه، فالدارس يلاحظ أن معالجة ابن سنان لعديد من الفنون البلاغية التي أوردها في آخر الكتاب تتسم بشيء من الاختصار غير المعهود في أوله، إذ كان جهده فيه كبيرًا، وتحليله دقيقًا، وليس هذا ذاك، وكأنه تسرع في إنهاء الكتاب أو انشغل ذهنه مما أثر في مساحة المادة من الموضوعات.

ويقول الأستاذ الفقي في ذلك أيضًا: "وكان الخفاجي شاعرًا، وللشاعرية نزعة هي الوحي والإلهام، وسبح الخاطر، وشأن الشاعر أن يرخي لنفسه العِنان كما يرضيها لخياله.." ثم يقول: " فهو حين يعمد إلى التأليف في علم لا يواتيه لتحريره إلا ما ألفه في شعره من هذه المعاني الطليقة وذلك ما دلت عليه آيات من كتابه، ونطقت أمارات من تأليفه."[١١٧]

ما يراه الباحث من مآخذ وعيوب على منهج ابن سنان

١-تعرض ابن سنان لدراسة مسائل كثيرة بعيدة عن مجال الفصاحة ودراسة الأصوات -التي نراها إيجابية كما سبق بيانه-ومن تلك المسائل، أنه ذكر أن من مميزات اللغة العربية وخصائصها الفنية أن أربابها هم العرب وخصهم بفصل أسماه (وجه تفضيل هؤلاء القوم على غيرهم) عدد للعرب فيه ما لهم من مناقب ومآثر، ومحاسن ومفاخر،وأنه لا تستطيع أمة من الأمم أن تنازعهم أو تجاريهم فيها، واستطرد في تعداد الخصال الحميدة التي يمتازون بها على سائر الأجناس، وهذا حق لا مراء فيه، لكننا نتحدث عن منهجية لكتاب في الفصاحة والبلاغة، والسؤال الذي يفرض نفسه: ما علاقة ذلك بعلم البلاغة العربية؟

وأزعم أنه أخطأ -بإقحامه هذا الفصل- خطأً منهجيًّا،ولعل القارئ يدرك ما أحاق بالأمة وقتذاك من خطر الدعوة الشَّعوبية التي نالت من العرب والعربية،فألحقت بهم كل منقصة، ونزعت عنهم كل مكرُمة، وأن ذلك أثار ذلك ابن سنان وأحفزه على الانتصار للعروبة والعربية ضد ذلك العداء البغيض بعقده هذا الفصل، لكنه أساء إلى منهج كتاب في البلاغة من حيث أراد الذب عن العرب والذود عن حياضهم.

٢-يبدو في منهج الكتاب أنه لا يلتزم أحيانًا بمعالجة الموضوع الواحد في مكان واحد،وإنما يتطرق إليه في أماكن شتى من كتابه،ويعود إليه مرات مختلفة، من ذلك

[١١٧] الدوريات، مجلة الأزهر، مقالات الأستاذ كامل الفقي،القاهرة، ١٣٦٤هـ، (٤٥٣/١٦).

بحثه لفن التمثيل، فقد تكلم فيه تارة فجعله من نعوت الفصاحة والبلاغة، وتارة تكلم فيه في أواخر الكتاب تحت عنوان " الاستدلال بالتمثيل". كما أن من مظاهر التكرار في الكتاب معالجته الكناية في مواطن مختلفة من كتابه.[١١٨]

٣-بالغ ابن سنان في وضع الشروط التي يجب تحققها في فصاحة اللفظة المفردة، وأسهب في ذلك، ولو أنه اكتفى بذكر الشروط أو المقومات الأساسية الواجب توافرها في تحقيق غاية الفصاحة لكان أفضل وأيسر من إرهاق البحث بكثير من التعقيدات والتفصيلات المملة. وأحسب أن ما دفعه إلى الإسراف في ذلك هو اهتمامه بالكلمة، وحرصه على صيانتها،وسموها، وإعلاء قدرها وخطرها.

٤-اختفاء شخصية ابن سنان العلمية عند معالجته لبعض الموضوعات، فلا نجد له ذلك التحليل الدقيق، والفهم الحصيف،والمعالجة الواعية للأقوال، والمناقشة السديدة للآراء كما ألفنا، فإذا بنا أمام مجموعة من النقول وعدد من المتابعات والاحتذاء الذي لا نرى فيه إلا الاختفاء، وأبرز شاهد على ذلك كلامه عن " المقلوب" و "المعاظلة".[١١٩]

٥-يلاحظ انه قد أوجز الكلام فيما يتعلق بالفنون البلاغية المتصلة بالمعاني حتى جاء بعضها مبتورًا.

٦-على الرغم من قولنا إن منهج الكتاب بلاغي وأنه مزج البلاغة بالحس الجمالي والاتجاه النقدي إلا أنه لم يكن كذلك على طول الخط،فالملاحظ أنه تطرق إلى موضوعات خارجة عن هذا الإطار، وهذا ليس عند ابن سنان فحسب ولكنه عيب فاشٍ في معظم المصنفات البلاغية وهو في سر الفصاحة أقل بكثير إذا ما قارناه بالعمدة لابن رشيق وقد أُلِّفا في عصر واحد. ومن أبرز تلك الموضوعات الأجنبية :الفرق بين الشعر والنثر وما يقال في تفضيل أحدهما على الآخر، وحديثه عن العروض والقوافي وعيوبها،وهي موضوعات ليست في صميم الفصاحة أو البلاغة.

وبعد،فإن "سر الفصاحة" كتاب قيم ،ذو أثر عظيم، أفاد منه البلاغيون وانتفعوا به، لتفوقه على غيره بجدة المنهج، وابتكار الأسلوب، وسهولة العبارة، وعمق التحليل، وهو أليق بأن يوصف بالسهل الممتنع، ثم إنه حافل بروايات أدبية، وأحداث تاريخية، ومجالس علمية، ومقاييس بلاغية، يقف المتأدبَ على أخبار ونوادر وطرف وافرة، ويجمع إليه علمًا بأصولٍ وقواعدَ في سر فصاحة الكلمة وبلاغتها الآسرة كما رادها ابن

---

[١١٨] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٦٤، ١٥٥ ، ٢٢١.

[١١٩] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٠٤، ١٠٥.

سنان، وهو فوق ذلك يشير إلى عقل مصنفه، وما أظهره فيه من غزارة مادة،وسعة اطلاع، وحسن اختيار من التراث،وهل الاختيار إلا وافد العقل؟ "إن اختيار المرء من حصاته."

Kaynaklar

Abdullah, Muhammed Hasan, *Mukaddime fi'n-nakdi'l-edebî*, Kuveyt: Dâru'l-buhûsu'l-ilmiyye 1975.

Abdurrahmân, Mansur, *Eserü itticâhâti'n-nakdi'l-edebî fi'l-karni'l-hâmis*, Kahire: Mektebetü Anchlo el-Mısriyye [t.y.]

Câhız, Ebû Osman Amr b. Bahr b. Mahbub Kinani Leysi (ö. 255/868) *el-Beyân ve't-tebyîn* (nşr. Abdüsselâm Hârun), I-II, Kahire: Mektebetü'l-hancî [t.y.]

Cürcânî, Ebû Bekr Abdülkahir b. Abdurrahman Abdülkahir Abdülkâhir (ö. 471/1078-79), *Delâilü'l-'İcâz* (nşr. Mahmud Muhammed Şâkir), Kahire: Mektebetü'l-hancî 2004.

___, *Esrârü'l-Belâğa*, (nşr. Muhammed Reşid Rızâ), Beyrut: Dâru'l-marife [t.y.]

Hafâci, İbn Sinân (ö. 466/1073), *Sirru'l-Fesâha* (nşr. Abdülmüteâl Saîdî), Kahire: Mektebetü Muhammed Ali ve evlâdühû 1953.

Hicâb, Abdülfettâh, *Menhecü'l-bahsi'l-belâğî beyne'l-Abdülkâhir ve's-Sekkâkî,* Kahire*:* el-Câmiatü'l-Ezher Külliyetü'l-luğati'l-Arabiyye [t.y.]

İbnü'l-Adîm, Ebü'l-Kâsım Kemâleddin Ömer b. Ahmed (ö. 660/1262) *Zübdetü'l-Haleb fî târîhi Halep* (nşr. Sami ed-Dühân), Dımaşk: Ma'hedü'l-Faransî [t.y.]

İbnü'l-Esîr, Ebü'l-Feth Ziyaeddin Nasrullah b. Muhammed b. Muhammed (ö. 637/1239), *el-Meselü's-sâir fî edebi'l-kâtib ve'ş-şâir* (nşr. Ahmed el-Hûfî-Bedevî Tabâne), I-IV, Kahire: Mektebetü'n-nahda [t.y.]

İbn Hallikân, Ebü'l-Abbas Şemseddin Ahmed b. Muhammed (ö. 681/1282) *Vefeyâtü'l-'Ayân* (nşr. Muhammed Muhyiddin Abdulhamid), I-VI, Kahire: Mektebetü'n-nahda 1951.

Kalkaliyye, Abduh, *el-Kâdî el-Cürcânî ve'n-nakdü'l-edebî*, Kahire: el-Heyetü'l-Mısriyye el-âmme li'l-küttâb 1973.

Kütübî, Ebû Abdullah Salahaddin Muhammed b. Şakir (ö. 764/1363) *Fevâtü'l-Vefeyât ve'z-zeyl aleyha* (nşr. Muhammed Muhyiddin Abdulhamid), I-II, Kahire: Mektebetü'n-nahda 1951.

Matlub, Ahmed, *el-Belâğa inde's-Sekkâkî*, Bağdat: Mektebetün'n-nahda 1964.

___, e*l-Kazvînî ve şurûhu't-telhîs*, Bağdat: Mektebetü'n-nahda 1967.

Mütenebbî, Ebu't-Tayyip Ahmed b. Hüseyin (ö. 354/965), *Divanu Ebi't-Tayyib el-Mütenebbi bi-şerhi Ebi'l-Beka el-Ukber* (nşr. Mustafa es-Sakkâ ve dğr.), I-IV, Kahire: Mustafa el-Bâbi el-Halebî 1936.

Selâm, Muhammed Zağlûl, *Târîhu'n-nakdi'l-Arabî mine'l-karni'l-hâmis ila'l-âşir el-hicrî,* İskenderiyye: Menşeetü'l-meârif 2000.

Şâib, Ahmed, *el-Üslûb*, Kahire: Mektebetü'n-nahda [t.y.]

Tabâne, Bedevî, *el-Beyânü'l-Arabî*, Kahire: Mektebetü Anchlo el-Mısriyye [t.y.]

___, *Ebû Hilâl el-Askerî ee mekâyîsuhu el-belâğiyye*, Kahire: Mektebetü Anchlo el-Mısriyye [t.y.]

___, *Kadâyâ en-nakdü'l-edebî*, Kahire: Mektebetü Anchlo el-Mısriyye [t.y.]

___, *İlmü'l-beyân,* Kahire: Mektebetü Anchlo el-Mısriyye [t.y.]

___, *Kudâme İbn Cafer ve'n-nakdü'l-edebî*, Kahire: Mektebetü Anchlo el-Mısriyye [t.y.]

Zirikli, Hayreddin, *el-'Alâm*, Beyrut: Dâru'l-ilm lil'l-melâyîn [t.y.]